السبت 6 حزيران 2020
العدد 4067 السنة الرابعة عشرة
Samedi 6 Juin 2020 no 4067 14ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

الجسد الأسود في مواجهة القهر والعنصرية والاستعمار

الانتفاضة الأميركيّة الأكبر منذ مارتن لوثر كينغ

الإمبراطورية ومخاضات الأفول

[10 ـ 13]

تهديد أميركيّ بوقف تمويل اليونيفيل

[4]

«ثوّار السفارة»!

[3 ـ 2]

قضية

1000 صيدلية مهدّدة بالإقفال

6

تقرير

«موسم الدخان» تبخّر «فرق عملة»

6

إيران

صفقة تبادل مع واشنطن: المفاوضات تقترب؟

15

على الغلاف

«ثوّار السفارة»!

من تحركات صيدا أمس التي رفض المشاركون فيها الدعوات المشبوهة للمسّ بسلاح المقاومة (علي حشيشو)

إبراهيم الأمين

بعد أيام قليلة على اندلاع انتفاضة 17 تشرين الأول من العام الماضي، اندلع النقاش حول الأهداف الكاملة لهذا الحراك. لم يتأخر الوقت حتى انخرط كلّ من لديه مشكلة مع السلطة في التحرك، واختلطت الشعارات. وجاء موقف حزب الله ليفتح الباب أمام نقاش أخذ طابعاً استفزازياً حيال وجود أهداف تتجاوز محاربة الفساد. يومها انطلقت معركة كبيرة عنوانها تحميل حزب الله المسؤولية عن بقاء النظام الفاسد في لبنان. ومنذ ذلك الحين، بدا واضحاً، أن هناك مشكلة كبيرة لدى الجمهور في مقاربة هذه المعركة. لكن قوى محلية ومجموعات ناشطة سارعت إلى إطلاق النار على حزب الله بوصفه مقاومة لا بوصفه من القوى الحاضرة في السلطة. وفي مقابل هذه الأصوات، خرج من يدعو إلى سحب ملف المقاومة وسلاحها من التداول.

وعملياً، ما حصل يومها أن غالبية كبيرة من القوى والمجموعات المتنفّذة، هربت من مواجهة هذا الاستحقاق. الانتهازيون وجماعة المنظمات غير الحكومية المموّلة من الحكومات الغربية ومن جماعات اقتصادية تابعة لها، والأحزاب اليمينية على أنواعها، و«يسار جورج سوروس»، كلّ هؤلاء، قالوا إنهم لا يستهدفون سلاح المقاومة. وصاروا يدعون إلى تجنّب الحديث عنه. هم فعلياً، كانوا يريدون الاحتيال على الجمهور لمنع فرزه وطنياً وليس اجتماعياً أو طبقياً فقط. وجاراهم في هذه اللعبة حشد من السُذّج الذي فصلوا بين الهوية الوطنية للبلاد وبين شكل النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. ما كان واجباً منذ اليوم الأول لانطلاقة 17 تشرين، هو أن الفريق الذي يعتقد أن المقاومة مسؤولة عن تعبئة الاقتصادي كان عليه إظهار موقفه علناً. لكنه فريق ضعيف وجبان ويعرف أن الانقسام القائم في البلاد حول الموقف من سلاح المقاومة، ليس انقساماً بين نصفين. في لبنان قسم من الناس يرفضون المقاومة الاحتلال، فلماذا لا تقفون اليوم، واضحة. بل هم أقلية غير قادرة حتى على التعطيل. لكن فكرة «الزعبرة» على طريقة الثورات المولّدة، جعلتهم يهربون من المواجهة.

لكن السؤال يخصّ القوى والمجموعات التي تقول إنها ترفض المسّ بسلاح المقاومة. والسؤال لهؤلاء: إذا كنتم أنتم من رفع شعار أن مقاومة العدو لا تتناقض مع مقاومة الفساد، وطالبتم حزب الله بالوقوف معكم في المعركة ضد الفساد لأنها جزء من المعركة ضد الاحتلال، فلماذا لا تقفون اليوم، وتقولون هذا الموقف، وتجيبون على السؤال المركزي: هل أن معاداة المقاومة والتحريض على سلاحها والمشاركة في حصار سوريا، هي مدخل لإنقاذ لبنان من الفاسدين ومن الوصاية الغربية والسيطرة على اقتصاده وماله وثرواته؟ من قال لكم بأن تتجنّبوا ملف سلاح المقاومة؟ كان على الجميع أن يقول موقفه صراحة. كان على الجميع إشهار موقفه، الداعم أو الرافض. حتى القوى اليسارية الوطنية التي سايرت هؤلاء ولا تزال، وتمتنع عن الإشارة إلى سلاح المقاومة، إنما كانت تخفي عجزها عن مواجهة هؤلاء والقول لهم إن المقاومة ليست طرفاً في السلطة وليست مسؤولة عن الفساد، وإن سلاح المقاومة عنصر قوة وليس عنصر ضعف. وهذا ما جعل هذه القوى ضعيفة التأثير، وأسيرة مقولات سياسية حدّدتها مجموعات المنظمات غير الحكومية.

اليوم، نحن نعود إلى المربّع الأول. إلى حيث الانقسام الفعلي. لكن الجديد، ليس في سعي القوى المعادية للمقاومة للكشف عن موقفها، بل لكون الأميركيين، قرّروا أن الوضع لم يعد يحتمل التأجيل. وهذا ما بات واضحاً لكل من يعرف خفايا البلاد. الأمر يعود إلى قرار اتخذته الولايات المتحدة الأميركية ومعها بريطانيا وفرنسا والسعودية والإمارات العربية المتحدة، بضرورة رفع سقف المواجهة المباشرة مع المقاومة. ولذلك، كان الطاقم الأميركي في بيروت ناشطاً في العمل على «تحذير» حلفائه، من «أن لبنان اليوم يعيش لحظة الفرز، فإما يختار اللبنانيون جانب معارضة مباشرة وصريحة لحزب الله، وإما أنه سيخسر كل تضامن المجتمع الدولي، وسيخسر كل فرص الدعم الاقتصادي والمالي لمواجهة الأزمة القائمة».

لا يحتاج الأميركيون هذه المرة إلى قفازات. معركتهم ضد المقاومة في لبنان والمنطقة لا تحتمل أنصاف المواقف. وهم يمارسون الضغط بكثافة على قوى سياسية لا تزال تخشى المواجهة. وليس من الصدفة أن يهرب حزب الكتائب كما القوات اللبنانية كما مجموعات «مدنية» كثيرة من استحقاق القول صراحة إنهم يريدون التظاهر ضد سلاح المقاومة. وظلوا حتى ساعات ليل الأمس، يحاولون الاحتيال على الأمر، وأن يركزوا على مطلب الانتخابات النيابية المبكرة، وأن يتركوا لمجموعات «مجهولة» تناول المقاومة وسلاحها من زاوية تطبيق القرارت الدولية. علماً أن الأميركيين، ومعهم جهات عربية ولبنانية، يشجعون المجموعات المعادية للمقاومة على رفع الشعار واضحاً حتى يقدروا على اجتذاب كتلة اجتماعية كبيرة. رهانهم وهدفهم جذب أكبر قاعدة ممكنة من الجمهور، ولا سيما الجمهور السُني الذي «افتقدوه في ساحات 17 تشرين». هم لا يهتمون لو اندلعت المعركة داخل تيار المستقبل. ما يهمّهم صور حشود ترفع شعار النيل من المقاومة.

نجح الأميركيون، في استقطاب البعض. وباتت لهم حصتهم الواضحة. صار بمقدورنا الحديث مباشرة عن «ثوار السفارة». هؤلاء الذين يتلقّون الأوامر والدعم من السفارة الأميركية ووكلائها في الأحزاب وفي منظمات المجتمع المدني. وهؤلاء هم من يريدون إشعال البلاد بحرائق كرمى لعيون الأميركيين. وهؤلاء هم الذين يعلنون موافقتهم على قانون «قيصر» لمحاصرة سوريا. وهؤلاء هم الذين لا يعون معنى أن يكون لبنان شريكاً في جريمة محاصرة الشعب السوري، لا الحكم في سوريا. وهؤلاء الذين يشاركون السفارة الأميركية أكبر عملية ترهيب بحق رجال أعمال وشركات وتجار، لأنهم يذهبون إلى سوريا أو يشترون منها البضائع أو يبيعونها ما يساعد أهلها على الصمود في وجه أبشع أنواع الحصار.

اليوم، يقف لبنان على مفترق لا يقلّ خطورة عمّا كان عليه قبل 15 عاماً، حين توهّم بعض اللبنانيين، أنهم قادرون على نقل لبنان من ضفة إلى ضفة. وعندما انخرط هؤلاء في معركة الاستيلاء على البلاد ومؤسساتها، واستعانوا بكل الكوكب لإنجاز مهمّتهم، وكان بعضهم شريكاً في العدوان الكبير في تموز 2006. اليوم، يقف لبنان على المفترق الذي لا يؤثر فيه خطاب أو موقف لهذا الناشط أو ذاك، بقدر ما يؤثر فيه فهم القوى البارزة بأن الولايات المتحدة خسرت حربها في المنطقة. وهي في مرحلة الخروج النهائي، العسكري والأمني من بلادنا. لكنها كعادتها، لا تدخل مكاناً إلا والموت معها، ولا تُخلي مكاناً إلا بعد إحراقه.

الذي قال إن مقاومة العدو لا تناقض مقاومة الفساد، مطالبٌ اليوم بالإجابة عمّا إذا كانت معاداة المقاومة تحرّر لبنان من الفاسدين

اليوم أميركا، تُضحّي بكلّ من تعاون معها، وهي لا تهتم إن مات أبناء سوريا جوعاً بعدما ماتوا برصاص عملائها. وهي أصلاً لن تهتم بمستقبل لبنان ما لم يكن عاملاً في خدمتها وفي خدمة إسرائيل... اليوم، هو الاختبار الأهم، لمن يفترض به قيادة ثورة اجتماعية وطنية ضد الحكم الفاسد. الثورة التي تتطلّب حزماً وحسماً مع سلطات فاسدة، لكنها تتطلّب موقفاً وطنياً صافياً لا يحتمل التحالف مع قوى الشرّ في العالم... اليوم، اختبار الناس الطيبين، مع «ثوار السفارة» الذين ينطبق عليهم وصف الثورة المضادّة.

تقرير

إسرائيل وتهديد حزب الله: المعركة بين الحروب... كيلا تقع الحرب

يحيى دبوق

لا ترتبط استراتيجية الانتصار الإسرائيلي على حزب الله، بجهرة معارضيْ لسلاحه في لبنان، وإن كانت هذه الجهرة، من ناحية تل أبيب، خطوة ابتدائية لطالما طالبت بها وعملت عليها، حتى ولو كانت فرصة نجاحها معدومة. رفع الصوت عالياً في وجه السلاح، وإن كان محدوداً في تأثيره وتداعياته، خاصة إن عمل المتجمهرون على ربطه بتردي الأوضاع في لبنان على أكثر من صعيد، هو هدف في ذاته يراهن عليه إسرائيلياً، وعلى المدى الطويل في حدّ ذاتي.

استراتيجيا الانتصار مرتبطة برئيس أركان الجيش الإسرائيلي، أفيف كوخافي، على نقيض ممن سبقوه في المنصب ممن تبنّوا استراتيجيات انتصار مغايرة في وجه حزب الله قبل عام 2006 وما بعده.

نشرة «مباط» الصادرة دورياً عن مركز بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية، تناولت هذه النقطة تحديداً، مشيرة إلى أنها تعبر عن رؤية مغايرة من الناحية الاستراتيجية والتنفيذية، عمّا سبق للجيش الإسرائيلي أن اعتمده في حروبه السابقة، وتحديداً في حروبه ضد حزب الله، كما ضد المقاومة في قطاع غزة.

يرد في النشرة أن كوخافي هو أول من سعى لإخراج إسرائيل من «الفخ الأمني» واللاانتصار الذي تعاني منه، وذلك عبر توجهه نحو الاستفادة من ميزة إسرائيل التكنولوجية ليبلور عقيدة قتالية حاسمة. وبحسب «مباط»، تهدف استراتيجية كوخافي إلى إنهاء الحرب بانتصار سريع وواضح، والقضاء التام على القدرات القتالية للعدو، مع الحد الأدنى من الضرر بالجيش الإسرائيلي.

الهدف كما ورد، هو الهدف نفسه الذي ورد في الكتابات والدراسات وكذلك خطابات كبار ضباط الجيش الإسرائيلي وجمهور الخبراء العسكريين، منذ عام 2006 في حد أدنى. فـ«طائرة الإف 16 ستقاتل إلى جانب بندقية الأم 16... والانتصار سيكون حاسماً وواضحاً ولا لبس فيه، إن نشبت الحرب في مواجهة حزب الله». هذا التأكيد ورد على لسان رئيس أركان الجيش الإسرائيلي عام 2007 (وزير الخارجية الحالي) غابي اشكنازي. فإما أن يكون الجيش الإسرائيلي في حينه كاذباً ويخفي الحقائق، وإما أن يكون كوخافي هو الكاذب، أو كلاهما معاً.

ما بين اشكنازي وكوخافي، عدد من رؤساء الأركان للجيش الإسرائيلي، من بينهم وزير الأمن الحالي بني غانتس، وكل منهم كانت لديه استراتيجية «غير مسبوقة» للحرب المقبلة. لكن من ناحية عملية، اعتمدت إسرائيل بعد عام 2006، رغم كل الكلام الصادر عن الحرب المقبلة والانتصار وكذلك اللاانتصار فيها، استراتيجية «المعركة بين الحروب»، التي جاءت على خلفية الحقائق المستخلصة من حرب عام 2006، وكذلك المواجهات المتكررة مع قطاع غزة. وإحدى هذه الحقائق هي تعذر القضاء على حزب الله عسكرياً، ما لم تكن إسرائيل مستعدة لاجتياح لبنان والبقاء فيه، أي استنساخ اجتياح عام 1982، والعودة إلى المستنقع الذي سحبت نفسها منه عام 2000.

واحدة من الحقائق المستخلصة من حروب إسرائيل، أنه مهما بلغت النتيجة المباشرة للمواجهات العسكرية مع العدو، والمقصود حزب الله، فستنتهي ليعود الواقع نفسه من جديد من دون قدرة على الحؤول دونه، أي عودة حزب الله من جديد، وبقوة أكبر مما كان عليها. وهذه النتيجة تكاد تكون من مسلمات الدروس والعبر المستخلصة أيضاً من حروب إسرائيل الأخيرة، وفي المقدمة حرب عام 2006.

للمعركة بين الحروب ساحات مواجهة غير عسكرية وأمنية، منها إيجاد بيئة ضاغطة على حزب الله

المعركة بين الحروب تعني، سواء نجحت في أهدافها أم فشلت فشلاً كاملاً أو جزئياً، أن الانتصار كما يتردد على ألسنة القادة العسكريين في تل أبيب، متعذر ولا يمكن الوصول إليه، ما لم تكن إسرائيل مستعدة لتلقي خسائر لا تريدها ولا تقوى عليها، وفقاً لمبناها وثقافتها وتركيبها الجمعي.

على هذه الخلفية، المعركة بين الحروب تعني وجوب أن تعمل إسرائيل على منع نشوب الحرب المقبلة أو إبعادها في أقل تقدير، وذلك على خلفية أن لا انتصار إسرائيلياً فيها، وأن جلّ ما يمكن تحقيقه من الحرب إنْ نشبت هو تأجيل موعد الحرب التي ستليها سنوات إضافية.

وإذا كانت هذه هي النتيجة، فعلى إسرائيل منع الحرب التي ستعود وتتكرر، والامتناع عن الوقوع فيها، عبر تقليص قدرة الطرف الآخر على خوضها، من خلال منع تزوده بوسائل قتالية متطورة أو عبر فرض ظروف عليه، اقتصادية وسياسية... تضغط على صانع القرار فيه (حزب الله)، ليتريث كثيراً وطويلاً قبل أن يتخذ قرارات عملية في مواجهة إسرائيل، سواء عبر العمل المبادَر إليه ابتدائياً، أو ما يتعلق بالعمل العسكري الرديف، وكذلك الاستعداد لاستخدام القوة العسكرية إن أرادت فرض إرادتها على لبنان.

وإن كان الحديث يطول عن المعركة بين الحروب، إلا أن تبنيها من قبل المؤسستين العسكرية والسياسية في مواجهة حزب الله، يعني إقراراً من تل أبيب الرسمية بموجباتها والأسباب التي دفعت إلى تبنيها: لا انتصار في الحرب المقبلة، أما إذا نشبت، فستكون نتيجتها إبعاد الحرب التي تعقبها.

مع ذلك، واحد من أهم مكوّنات المعركة بين الحروب، هو التهديد بالحرب التي خصصت هذه الاستراتيجية لمنع نشوبها. وتخويف الطرف الآخر من ويلاتها، موازٍ تماماً لمنع الآخر من حيازة وسائل قتالية متطورة، وتخدم الهدف نفسه: منع نشوب الحرب أو تأجيلها أكبر فترة ممكنة. وهذا ما يفسر كثرة التهديدات الصادرة عن تل أبيب، واستنساخها دورياً.

وللمعركة بين الحروب ساحات مواجهة غير عسكرية وأمنية، ومنها السياسي والاقتصادي وإيجاد عوامل داخلية وخارجية ضاغطة على الطرف الآخر ويمكن الرهان عليها لإشغاله عن إسرائيل، وتحديداً عن تعظيم القوة العسكرية، من بينها كذلك، إيجاد بيئة ضاغطة على العدو (حزب الله)، عبر تأليب الداخل اللبناني عليه، سواء بيئته المباشرة أو تلك الأبعد قليلاً عنه، في لبنان.

مع الأزمة المالية والاقتصادية التي سبّبها من سبّبها للبلد، باتت الفرصة مؤاتية للتأليب، حتى وإن اقتصر ذلك، من ناحية التأثير الفعلي، على التشويش الإعلامي ضد المقاومة. وهي نتيجة وتفسير يصحّان سواء كان معارضو المقاومة وسلاحها يعملون بالأصالة عن أنفسهم، أو بالوكالة عن العدو.

في خلاصة نشرة مركز بيغن السادات عذر مسبق لكوخافي إن تعذّر عليه تأمين مستلزمات «خطة الانتصار» على حزب الله، بعد ربطها بفيروس كورونا، من دون السؤال عن السنوات السابقة، التي كانت خالية من الفيروس، إن صح هذا ذلك: «ما هو مطلوب لتطبيق هذه الاستراتيجية متاح ويمكن الحصول عليه في وقت قصير نسبياً، لكن كل ذلك مرتبط برصد ميزانيات ضخمة. ومن المشكوك فيه إن كانت أزمة كورونا ستسمح قريباً لإسرائيل بتخصيص الموارد المطلوبة».

حراك الجنوب: ضد «الثورة المضادّة»

أمال خليل

ثار حراك الجنوب أمس على «ثورة 6 حزيران» المرتقب اندلاعها اليوم في تظاهرات دعت إليها أحزاب وبعض المجموعات في بيروت. النبطية وكفرمان وصيدا وصور سحبت الشرعية عن تظاهرات بيروت بعد أن «حُرفت عن بوصلتها الأساسية من إعادة إحياء ثورة 17 تشرين إلى نزع سلاح المقاومة، بعد أن جرى الاتفاق الأولي على تنظيم تظاهرات مطلبية في 6 حزيران». في صيدا، حسمت مكوّنات حراك إيليا باكراً موقفها بالإعلان عن تنظيم تظاهرة أمس تحمل شعارات «17 تشرين» رداً على «الدعوات المشبوهة التي صدرت عن قوى سلطوية وطائفية تحمل في عناوينها استهدافاً لسلاح المقاومة وتحرف الثورة عن أهدافها». وقد انطلقت التظاهرة مساءً من أمام مصرف لبنان باتجاه تقاطع إيليا شارك فيها المئات من التنظيم الشعبي الناصري والحزب الديمقراطي الشعبي والحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل الشيوعي والمستقلين. وحمل المتظاهرون لافتات استعادوا فيها مشروع تشرين وكتبوا: «نريد حكومة انتقالية ذات صلاحية تشريعية من خارج المنظومة الحاكمة» و«لا لمصادرة القرار السياسي اللبناني المستقلّ المتعلق بقضايا السيادية الداخلية والخارجية». ولم يفوّتوا فرصة مهاجمة محاولات إسقاط تحركاتهم، رافعين شعارات «لا لدولة أميركا العميقة في لبنان» و«لا لقانون قيصر». علماً بأن عدداً من الناشطين الصيداويين أعلنوا عن مشاركتهم في تظاهرات بيروت بصفة شخصية. المشهد الصيداوي تكرّر في ساحة خيمة النبطية، حيث تنادى ناشطو حراك النبطية وكفرمان أمس وساروا في تظاهرة جابت شوارع المدينة الرئيسة داعين إلى «تشكيل حكومة إنقاذ مستقلة». وأكدت الناشطة سلام بدر الدين أن مكوّنات حراك النبطية وكفرمان توافقت على تنظيم التظاهرة أمس «كردّ مسبق على تظاهرات بيروت التي لا تعنينا بشعاراتها».

في طرابلس، واجهت مجموعات من المنتفضين الدعوة إلى «تطبيق الـ1559»

حراك صور لم يعدّل برنامجه الذي وضعه عند الاتفاق على تنظيم تظاهرات في المناطق، لكنه عدّل الشعار. بالتزامن مع تظاهرة بيروت، سوف تشهد خيمة صور لقاء تفاعلياً بعنوان «17 تشرين بين أصالة الثورة والثورة المضادّة». وقال الناشط رائد عطايا إن «قوى السلطة والمعارضة المرتبطة بالسلطة دسّت شعار سلاح المقاومة وتطبيق القرار 1559 بهدف إرباك الناس وتخويفهم لعدم النزول إلى الشارع»، لافتاً إلى أن «سلاح المقاومة لم يُطرح من ضمن مشروع 17 تشرين، ما يثير الشبهات حول دوافع طرحه».

وفي طرابلس، بدا لافتاً أن التحرك الذي قامت به مجموعة صغيرة تحت عنوان نزع سلاح حزب الله وتطبيق قرار مجلس الأمن الرقم 1559، ووجه من قبل مجموعات من المنتفضين رفضت هذا الطرح، وخاصة لجهة التوقيت.

(أ ف ب)

رسائل إلى المحرر

ردّ من البطريركية المارونية

نشرتم بتاريخ 2020/6/3 مقالاً بعنوان «بكركي تخلي مستأجرين تحت التهديد: الأولوية زراعة الأفوكادو».
مضمون الخبر يفتقر إلى الموضوعية والواقعية لا سيّما وأن كاتبة المقال الصحافية السيدة إيلدا الغصين أكدت أنها لم تتمكن من التواصل مع المرجع المعني في البطريركية لتقف على حقيقة الواقع.
إن دائرة القيمومة العامة في البطريركية، إذ تؤكد على عدم دقة وعدم موضوعية المقال المشار إليه، تدعوكم إلى التواصل معها قبل نشر أي خبر يتعلق بمهامها ومسؤولياتها.
دائرة القيمومة العامة في البطريركية المارونية

◆◆◆

... ومن الجامعة الإسلامية

تصحيحاً لما أوردته صحيفتكم الغراء في عددها الصادر اليوم ضمن مقالة الزميلة هديل فرفور تحت عنوان 50 إصابة جديدة: عشوائية الإجلاء وغياب التنسيق؛ وعملاً بحق الرد والتصحيح ينفي المكتب الإعلامي في الجامعة الإسلامية في لبنان بشكل قاطع ما ورد عن تخصيص غرف في مجمعها في الوردانية لاستقبال حالات مصابة بفيروس الكورونا.

◆◆◆

«المرصد الشعبي»

توضيحاً لما ورد في «الأخبار» عن «المرصد الشعبي لمكافحة الفساد»، أمس، نورد الآتي:
أولاً، إن موقف المرصد الرسمي هو بيانه الذي صدر على صفحته، وأيّ تأويل أو تحليل لا يعنينا. حيث إن المقال اجتزأ الكلام الصادر عن المرصد بحيث لم يظهر موقف المرصد الحقيقي من كل الأمور التي تجري. والمقال استخدم لإبراز موقف المرصد عبارة «يُفهم منه»، وهذا لا يعنينا ماذا يفهم كاتب المقال عن موقفنا.
إن المرصد حالة ثورية تعتبر أن مواجهة النظام الطائفي ليست محددة بيوم معين، فكل الأيام ثورة حتى تحقيق الأهداف.
ثانياً، إن موقف المرصد واضح بأن مواجهة السلطة هي لكل قواها، وإن المواجهة ليست على طريقة 14 و8 آذار، لأن مقاربتنا لأيّ موضوع هي على أسس 17 تشرين. إن موقف المرصد من أولويات المرحلة هو بوضوح الإنقاذ الاقتصادي، وليس أي موضوع آخر لتلك المهمة تقوم بها حكومة من خارج المنظومة الحاكمة.
ثالثاً، إن المرصد يرفض أيّ تحرك بعيدنا الى الانقسام العمودي على طريقة 8 و14 اللذين دمّرا البلد لأجل مصالحهما السياسية.
رابعاً، إن المرصد في فهمه لإعادة تكوين السلطة، يرى أنها تكون بالانتخابات النيابية ولكن تلك الانتخابات ليست على قاعدة الدخول بحجم أكبر في نادي السلطة، وعلى أساس قانون انتخاب يؤدي إلى عدالة التمثيل تشرف عليه حكومة مستقلة عن قوى المحاصصة الطائفية.
المرصد الشعبي لمكافحة الفساد

في الواجهة

تهديد أميركيّ بوقف تمويل اليونيفيل: ليست أهمّ من منظمة الصحة العالمية

ينتظر لبنان في أيّ المقبل استحقاق القرار 1701. ما سمعه أخيراً عبر الفرنسيين لا يطمئنه. ما يقتضي أن لا يطمئنّ أيضاً أن الأميركيين يتعاملون مع البلد الموشك على الانهيار على أن في الإمكان معاقبته أكثر. أكثر مما يتوقّع ويحتمل

نقولا ناصيف

من غير المؤكد أن الموقف الذي أدلى به الرئيسان ميشال عون وحسان دياب، في اجتماعهما الأربعاء الفائت مع سفراء الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، سيكون كافياً ومقنعاً لواشنطن كي تقلل ضغوطها السياسية والاقتصادية على لبنان، وخصوصاً بإزاء ما ينتظر القرار 1701 في أواخر آب. لن يكون سهلاً عليها أيضاً إقناع الشركاء الآخرين في مجلس الأمن بتعديل مهمّات القوة الدولية في الجنوب، أو تقليل عديدها. تملك واشنطن الفيتو الذي تملكه الدول الأربع الأخرى، ما يُحدث تلقائياً توازناً سلبياً. مع ذلك لديها ما ليس لدى الدول تلك، هي الورقة القابضة على عنق الكوكب. بيد أن أحداً من دول السفراء الخمس، بما في ذلك التخويف الأميركي، ليس في وارد إنهاء انتداب هذه القوة وتجميد تطبيق القرار 1701 بالسهولة المتوخّاة.
ليس خافياً على المسؤولين اللبنانيين أن الموقف الأميركي الأخير - وقد تبلّغه لبنان من الفرنسيين في وقت مبكر - هو جزء لا يتجزأ من حزمة ضغوط تشكل سلسلة مكتملة الحلقات. بدأت بالعقوبات الأميركية على حزب الله لقطع تواصله مع إيران ونظام الرئيس بشار الأسد وتجفيف مصادر تمويله، وانتقلت إلى إخراجه من النظام المصرفي الدولي، وتواصلت وإن على نحو غير معلن تماماً بعد مع المهمة الحالية المنوطة بصندوق النقد الدولي لانتشال الاقتصاد اللبناني من القعر، وصولاً إلى «قانون قيصر»، فالقرار 1701 أخيراً من غير أن يكون آخر المحطات. رغم الحزمة الأميركية المتراصة هذه، تعامل المسؤولون اللبنانيون معها بالمفرق. يفاوضون صندوق النقد كأن مهمته تقنية فحسب، مثلما حرصوا على التمييز بين النظام المصرفي اللبناني وبقائه داخل النظام المالي العالمي وبين حزب الله. كذلك هو الموقف من «قانون قيصر» الذي يتعمّد تشطية لبنان ما دام الأميركيون يقولون إن حزب الله هو الذي يدير البلاد ويوفر معبر الانتقال ما بينه وسوريا. أما القرار 1701، فلا تعدو الحجة الرسمية اللبنانية سوى ما درج المسؤولون عليها منذ مباشرة تطبيقه في آب 2006، أنه وفّر استقرار جنوب نهر الليطاني، وضمّن سلامة «الخط الأزرق»، وأرسى علاقات ودية بين القرى والبلدات والجنود الدوليين، وأبعد حزب الله عن خطوط التماس. لكنه لم يحل دون الاختراقات الإسرائيلية اليومية.
مع ذلك كله، بدا أخيراً أن واشنطن لا تريد أن تنظر إلى القرار 1701 كما لو أنه محطة دورية، يصير إلى التجديد دورياً للقوة الدولية، ولا تُعلّق أهمية على تعديل مهماتها.

> **فوشيه أخطر لبنان قبل 10 أيام نقلاً عن الأميركيين بتهديدهم**

ليست المرة الأولى يثار هذا التعديل منذ عام 2006، بيد أنه لم ينطوِ في المرات السابقة على حتمية تُذكّر. توسُّع حزمة العقوبات الأميركية على حزب الله - المعنيّ في الأصل في ما تطلبه الآن في القرار 1701 - أعاد تذكيرها بالقرار 1559 الذي لم يعدُ منذ عام صدوره في أيلول 2004، سوى تقرير نصف سنوي بالكاد كان يُذكر في السنوات المنصرمة بعدما غادر الجيش السوري لبنان. صار أخيراً إلى تعويمه على أنه أحد بنود حزمة العقوبات الأميركية. كذلك الأمر بالنسبة إلى المطالبة بالسيطرة الكاملة على الحدود اللبنانية - السورية، وجعلها هي الأخرى تحت الانتداب الدولي. هذا البند في صلب ما يتحدّث عنه صندوق النقد الدولي كأحد الحلول الجدية الموثوق بها لإنقاذ الاقتصاد اللبناني، كما لو أنه يمثّل مشكلة اقتصادية في ذاته، يحتاج إلى آلية تقنية تمنع التهرّب الضريبي والجمركي وتبادل التهريب بين البلدين بما في ذلك العمالات الصعبة والوقود والحبوب.
قبل عشرة أيام تبلّغ رئيسا الجمهورية والحكومة من السفير الفرنسي في بيروت برونو فوشيه مضمون ما تبلّغه من الخارجية الفرنسية، نقلاً عن الرسالة التي أبلغتها واشنطن إلى باريس، وهي أنها لن تتعامل مع التمديد للقوة الدولية في الجنوب في الانتداب الجديد، على نحو ما كان يحدث في السنوات المنصرمة.
في فحوى ما نقله فوشيه، شفوياً، إلى المسؤولين اللبنانيين:
1 - استمرار تطبيق القرار 1701 يكبّد الأمم المتحدة نحو 900 مليون دولار سنوياً، تغطي واشنطن من هذا المبلغ ما بين 25% إلى 30% منه. بحسب الأميركيين، فإن هذا المبلغ يجري إنفاقه بلا جدوى على مهمة لم تحرز أي تقدم في تنفيذ قرار مجلس الأمن. وهو بذلك يُهدر بلا طائل سياسي أو أمني، ينسجم مع الأهداف التي توخّاها القرار.
2 - من غير المستبعد، في ضوء ذلك، أن تتوقف الولايات المتحدة عن تسديد حصتها في كلفة نشر الجنود الدوليين في جنوب لبنان، ولا يضيرها أن تتصرّف حيال الأمم المتحدة وهذه المهمة بالذات، على نحو ما فعلت مع منظمة الصحة العالمية بخروجها منها. في أي حال، مهمة القوة الدولية ليست أكثر أهمية من دور منظمة الصحة الدولية.
3 - لا يسع واشنطن الموافقة على تمديد دوري مقبل للقرار 1701، من دون آلية جديدة تحقق تطبيقه، وتأخذ في الاعتبار تعديل مهمات القوة الدولية. سوى ذلك ستكون خارج أي التزام مالي أو سياسي بإزائه. مغزى هذا التهديد، تعريض استمرار القوة الدولية، بفقدانها نحو ثلث موازنتها، إلى خفض عدد وحداتها المشاركة وانسحاب دول منها، وتالياً دفع جنوب لبنان و«الخط الأزرق» إلى دائرة فقدان السيطرة عليهما.
4 - لا يمكن لواشنطن الاستمرار في قرار لمجلس الأمن يمتنع لبنان عن تطبيقه على نحو كامل. لذا أمام مجلس الأمن في موعد تجديد انتداب القوة الدولية أحد خيارين: إما وضعه موضع التطبيق الفعلي على ما ينص عليه، أو إعادة النظر فيه.
في ضوء هذه الرسالة، كان اجتماع الأربعاء المنصرم في قصر بعبدا لعون ودياب مع سفراء الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، فاعادت السفيرة الأميركية دوروثي شيا تأكيد المؤكد، وهو فحوى الرسالة التي نقلها الأميركيون إلى لبنان عبر الفرنسيين، من غير أن يكون بعد ثمّة تفسير لدى أحد عن توسّل هذه القناة من جهة، وإحجام واشنطن عن إبلاغ لبنان مباشرة موقفها الجديد المتصلّب من جهة أخرى.
واستناداً إلى بعض المعلومات، لم تُفصح السفيرة الأميركية في اجتماع قصر بعبدا عن موقف إدارتها، إلا بعدما تحقّقت من أن نظيرها الفرنسي أطلع رئيسي الجمهورية والحكومة عليه. بيد أنها تفادت أن تأتي على ذكر ما لوّح به الأميركيون للفرنسيين، وهو احتمال وقف واشنطن تمويلها القرار 1701.

(هيثم الموسوي)

تقرير

«الصحة» تعدّل خطتها:

العزل الإلزامي للحالات المثبتة في مستشفيات المناطق

راجانا حميّة

بما أنه لم يعد من المضمون الاتّكال على «وعي المواطنين»، بعدما أثبتت هذه الإستراتيجية فشلها، غيّرت وزارة الصحة العامة، أمس، «تكتيكها» في التعامل مع المصابين بفيروس كورونا. هذه المرة، حزم وزير الصحة العامة، حمد حسن، أمره في فرض إجراءات جديدة في التعامل مع المصابين أو المشتبه في إصابتهم بفيروس كورونا، متّكلاً في ذلك على «وعي» السلطات المحلية والمجتمع المدني، بمساعدة دولية من منظمة الصحة العالمية واليونيسيف ومفوضية شؤون اللاجئين وغيرها.
أمس، وفي اجتماعه مع محافظي وقائمقامي المناطق ورؤساء البلديات واتحاداتها، أعلن حمد عن خطة العمل الجديدة التي سترافق الوافدين ضمن الدفعة الرابعة من طائرات إجلاء العودة، والتي تمحورت حول 3 نقاط أساسية، سيحمل المجتمع المحلي مسؤولية نجاحها أو فشلها. ولعلّ الإجراء الأساس الذي اتخذته الوزارة في هذا الصدد هو الحجر الإلزامي للمصابين في المستشفيات، على أن يتم التوزيع على المستشفيات تبعاً لوضع الحالة المصابة. واستناداً إلى ذلك التصنيف، سيتم «نقل الحالات الإيجابية التي لا تعاني من عوارض إلى مستشفيات المنطقة طالما أن هناك قدرة استيعابية»، فيما يبقى إجراء نقل الحالات التي تعاني من عوارض محصوراً بمستشفى الحريري الجامعي إلى حين استنفاد قدرته الاستيعابية، «عندها تنقل هذه الحالات إلى المستشفيات الحكومية في المناطق». وفي موازاة هذا التطبيق، تبدأ وزارة الصحة، بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية والأمم المتحدة ونقابة الممرضين والممرضات والبلديات، بالعمل على تجهيز مراكز للحجر، يكون الإشراف المباشر والإدارة فيها للوزارة.
من الجهة الأخرى، لن يُترك المشتبه فيهم والوافدون لـ«ضميرهم» هذه المرة، إذ طلبت وزارة الصحة من المحافظين والقائمقامين ورؤساء البلديات متابعة المخالطين «ومن تكون نتائج فحوصات الـPCR العائدة إليهم سلبية في أماكن إقامتهم».
ابتداءً من عصر أمس، باتت هذه الإجراءات ملزمة. هذا ما أعلنه الوزير عقب الانتهاء من الاجتماع. إلزامية تلك الإجراءات تنطلق من الواقع الصحي المهدّد في أية لحظة «بالإنزلاق نحو انتشار الوباء». ولئن كان لبنان لا يزال، إلى الآن، في مرحلة احتواء فيروس كورونا،

> **أعلن مستشفى بشرّي عن «طي حقبة الوباء في المنطقة» بشفاء جميع المصابين**

إلا أن «التخاذل» في الإجراءات «سيقود حتماً إلى نتائج لا تُحمد عقباها». وما حصل قبل أيام في ما يخص الوافدة من السعودية التي نُقلت الفيروس إلى 43 آخرين في محيط بلدتي برجا وجدرا ما هو إلا بروفا لما كنا مقبلين عليه»، على ما تقول مصادر وزارة الصحة. وفي الإطار نفسه، أعلنت وزارة الصحة، في تقريرها أمس، عن تسجيل 6 إصابات جديدة، ليصبح العدد الإجمالي للإصابات 1312. وتوزّعت الحالات الست الجديدة ما بين 3 إصابات من الوافدين و3 إصابات من المقيمين والذين خالطوا الوافدة من السعودية. إلى ذلك، أعلنت مصادر وزارة الصحة عن استكمال إجراء الفحوص لمخالطين في برجا وجدرا.
على جانب آخر، جاء الخبر السار من مستشفى بشرّي أمس، إذ أعلن عن «طي حقبة الوباء في المنطقة» بعد شهرين و11 يوماً، بشفاء جميع المصابين والبالغ عددهم 75 حالة.
وفي السياق نفسه، ناقش الوزير حسن، أمس، مع اللجنة الوطنية للأمراض المعدية في موضوع الإجراءات الواجب اتخاذها استعداداً لعودة الملاحة الجوية، والإجراءات التي سيتم فرضها على المسافرين قبل الصعود إلى الطائرة وفي الطائرة ولدى عودتهم. ولم تحدد اللجنة بعد ماهية الإجراءات، بانتظار استكمال اجتماعاتها اليوم.

(هيثم الموسوي)

تقرير

النيابة العامّة تستجوب القاضية عون!

(هيثم الموسوي)

رضوان مرتضى

كشفت مصادر قضائية أن المدعي العام التمييزي القاضي غسان عويدات استدعى المدعية العامة في جبل لبنان القاضية غادة عون للاستماع إليها في أربع شكاوى مقامة ضدها، من دون أن يُحدّد الموعد بعد، إلا أنّ أوساط القاضية عون نفت تبلّغها أيّ استدعاء. فما هي الشكاوى المرفوعة ضد النائب العام الاستئنافي في جبل لبنان؟ مرجع قضائي أكد لـ«الأخبار» أنّ عويدات طلب من القاضي غسان خوري استدعاء القاضية عون إلى التحقيق بعد ورود أربع شكاوى بحقها، علماً أنّ بين هذه الدعاوى ما هو قديم. وكشف المرجع القضائي أنّ آخر الدعاوى التي أقيمت ضد عون سُجّلت قبل خمسة أيام، قدّمها النائب والوزير السابق نقولا فتوش الذي ادّعى عليها بإقفال كساراته الأبيض لمحو قرار قضائي اتخذته قبل أيام. وبالنسبة إلى المخالفة الرابعة، فذكر المرجع القضائي أنها تتعلق بإساءتها إلى مجلس القضاء الأعلى. غير أنّ أوساط القاضية عون تؤكد أنها لم تُستدع بعد، متحدّثة عن «تركيب ملفات غير موجودة».
ورغم اعتبار أنّ التوقيف الأول كان قانونياً، اعتبر المرجع القضائي وجود تعسّف في توقيف سلّوم في المرة الثانية رغم صدور قرار قضائي بإخلاء سبيلها. أما الدعويان المتبقيتان فتتعلّق إحداهما بشكوى تزوير مقامة من أحد المحامين ضدها تتعلّق باستخدامها «قلم التصحيح» قبل أيام. وبالنسبة إلى المخالفة الرابعة، فذكر المرجع القضائي أنها تتعلق بإساءتها إلى مجلس القضاء الأعلى. غير أنّ أوساط القاضية عون تؤكد أنها لم تُستدع بعد، متحدّثة عن «تركيب ملفات غير موجودة».
وتنقل المصادر أنّ عون سبق أن استُدعيت من قبل المحامي العام التمييزي عماد قبلان، إلا أن القاضي الذي استدعاها عاود الاتصال بها لإبلاغها تأجيل جلسة الاستماع إلى موعد يُحدد لاحقاً. وتستغرب أوساط القاضية عون ما يُتداول في الإعلام بشأن شكوى مقامة ضدها بجرم تزوير قرار قضائي، مشيرة إلى أنها صحّحت خطأ في قضية استئناف قرار منع محاكمة عن تاجر مخدّرات، «وهذا أمر عادي جداً». أما موضوع الاستدعاء الجديد، فتتوقّف عنده القاضية عون، إذ تؤكد أوساطها نقلاً عنها أنها «لن تقبل أن تُستجوَب من قبل قاضٍ أقل منها درجة»، في إشارة إلى القاضي غسان خوري المكلّف بالاستماع إليها على اعتبار أنّ القانون يفرض أن يكون القاضي الذي يستجوب قاضياً أخر أعلى منه درجة أو من الدرجة نفسها. غير أن مصادر النيابة العامة التمييزية تؤكد أن لا دخل للدرجات القضائية في هذا الإجراء التمهيدي، مشيرة إلى أنه لا يُسمح لقاضٍ أقلّ درجة أن يستجوب قاضياً أعلى منه درجة بعد ادّعاء النائب العام التمييزي عليه. كذلك تتحدث أوساط القاضية عون عن وجود رغبة بالتنكيل بها لترهيبها للخلاص منها جراء موقفها في عدد من الملفات، لتختم أن «ضمير القاضية عون مرتاح وربما ستدّعي بجرم الافتراء».

> **القاضية عون تؤكد أنها لم تُستدع بعد، متحدّثة عن «تركيب ملفات غير موجودة»**

قضية

1000 صيدلية مهدّدة بالإقفال

يدبّ الوهن في جسم قطاع الصيدلة في لبنان مايهدّد كامل المنظومة الصحية. عدد الصيدليات التي تغلق تباعاً وتلك المهدّدة بالإقفال قريباً يبيّن ان القطاع تخطّى مرحلة التحذير من الأزمة وبات فعلياً في عين العاصفة، نتيجة تضافر عوامل عدة، ابرزها - إضافة إلى تردي الحال الاقتصادية وانعكاسها على القدرة الشرائية للمواطنين وعلى الصيدليات - غياب استراتيجية دواء واضحة، والإهمال المقصود لإنشاء مختبر مركزي

رضا صوايا

خلال أقلّ من عام، تخطّى عدد الصيدليات التي أقفلت أبوابها الـ 200، أي بمعدل 20 صيدلية واحدة تقريباً في الشهر. وهو رقم مرجّح للارتفاع أضعافاً في الشهور المقبلة ليطال نحو 35% من الصيدليات العاملة في لبنان، وتحديداً الصغيرة منها.

> نقيب الصيادلة غسان الأمين أوضح أنه إضافة إلى الصيدليات الـ 200

تشجيع ادوية الجنيريك يزيد ارباح الصيدلي ويخفض فاتورة المريض

> التي أقفلت، «هناك نحو 1000 أخرى من أصل 3400 صيدلية مهدّدة بملاقاة المصير نفسه، خصوصاً الصغيرة الموجودة في المناطق البعيدة والأرياف، وهو ما يهدّد الأمن الصحي، وخصوصاً سكان هذه المناطق الذين قد يصعب عليهم الوصول إلى الدواء». يعزو النقيب السبب الأساسي لمعاناة الصيادلة إلى «التعاطي غير العلمي» مع ملف السياسة الدوائية في لبنان، وهو تعاطٍ «يعتمد على البروباغندا والشعبوية، عوض أن يكون مدروساً وشاملاً، ولا يأخذ في الاعتبار واقع الصيادلة الذين يتكبّدون خسائر كبيرة جرّاء هذه العشوائية في التعاطي. إذ يشترون الدواء بسعر معيّن ثم يُضطرون فجأة إلى بيعه بسعر أقل، علماً أن لا علاقة للصيادلة باستيراد الدواء او تسعيره». المؤسف، بحسب الأمين، أن أحداً «لم يستمع إلى مطالبنا وتحذيراتنا منذ سنوات رغم أن دورنا محوريّ لنجاح أي استراتيجية دوائية».

شكوى الصيادلة «ليست من انخفاض سعر الدواء، بل من أن أيّ خفض، مهما بلغ حجمه، يبقى منقوصاً ومن دون أيّ قيمة فعليّة لأن السياسة المتّبعة تهدف إلى تشجيع بيع الدواء الأصلي (Brand) الأغلى ثمناً عوض الدواء البديل (Generic)، ما يرتّب أعباء كبيرة على المواطنين ويساهم في ارتفاع كلفة الفاتورة الدوائية في لبنان وهي الأغلى في المنطقة». وأوضح أن «فاتورة الدواء في لبنان تبلغ ملياراً و700 مليون دولار سنوياً، 900 مليون دولار منها تُباع في الصيدليات، وهي مقسمة 700 مليون للأدوية الـ Brand و200 مليون فقط لـ Generic. فيما تبلغ نسبة مبيع أدوية الـ generic نحو 90% في الولايات المتحدة ونحو 70% في فرنسا». أكثر من ذلك، يُحرم الصيدلي اللبناني من ممارسة دوره الفعلي لناحية وصف الدواء. إذ يعمد الأطباء في كثير من الأحيان إلى تأشير الوصفة بعبارة (Non-substitution (NS ما يمنع الصيدلي من نصح المريض بأيّ دواء آخر أرخص ولو كان مشابهاً من حيث التركيبة».

أحد المعوّقات الأساسية التي تحول دون تشجيع استخدام الدواء البديل هو غياب المختبر المركزي للدواء، وهذا بحسب نقيب الصيادلة «أكبر عملية فساد في تاريخ لبنان، إذ يجري التذرّع بالتمويل لعدم إنشاء المختبر فيما لا تتعدّى هذه الكلفة 10 ملايين دولار». وتكمن أهمية المختبر في أنه يساعد في إثبات جودة الدواء البديل وتركيبته المطابقة للدواء الأصلي ويطمئن كلاً من الطبيب والمريض في حال كانت هناك شكوك حول ذلك».

الأزمة الاقتصاديّة أيضاً ألقت بثقلها على القطاع إذ «باتت مشتريات زبائن الصيدليات تقتصر على الأساسيات ما انعكس تراجعاً حادّاً في مبيعات الكماليات كالشامبو وأدوية التنحيف وشفرات الحلاقة وغيرها»، ناهيك عن «إقدام بعض الأطباء على بيع الدواء في عياداتهم وهو أمر مخالف للقانون الذي يحصر بيع الأدوية بالصيدليات». ومن نتائج الأزمة أيضاً «صرف المئات من مندوبي الدعاية الطبية، أما من بقي في عمله منهم فيضطر إلى العمل بنصف راتب». أمّا الحلول فأبرزها، وفقاً للنقيب، الإسراع في إنشاء المختبر المركزي، «وقد أبلغنا وزير الصحة حمد حسن أنه آمَن مكاناً لإنشائه في مستشفى بيروت الحكومي وأن هناك هبة قطرية لتمويله»، إضافة إلى إلغاء الـ NS عن الوصفة الطبية. «وهناك بحث مع وزارة الصحة في هذا الشأن، خصوصاً أن تشجيع استخدام الدواء البديل يمنح الصيدلي نسبة أرباح أكبر على المبيعات، ويخفّض الكلفة على المريض في الوقت نفسه».

(مروان طحطح)

قضية

بركة اليمونة تهدّد 40 بلدة بـ«ما بعد كورونا»!

رامح حميّة

أكثر من 200 ألف نسمة في قرى غربي بعلبك على «موعد» مع أمراض لا تقل خطورة عن فيروس «كورونا»، بدءاً بالتيفوئيد وليس انتهاءً بالصفيري وشلل الأطفال. إذ إن بركة اليمونة، المصدر الرئيس الذي يزوّد أكثر من 40 بلدة وقرية بمياه الشفة، ملوثة بالمياه المبتذلة نتيجة عدم استكمال أشغال شبكة الصرف الصحي، وعدم تشغيل محطتي الضخ والتكرير بسبب أزمة الدولار ولعيوب تشوب التنفيذ.

بلدية اليمونة ناشدت، منذ أشهر، وزارة الطاقة والمياه رفع الضرر مخافة تفشي الأمراض بين أهالي القرى التي تعتمد بشكل رئيسي على مياه البركة، أو ما بات يعرف باسم سد اليمونة، «من دون أن نجد آذاناً صاغية»، بحسب رئيسها طلال شريف.

السد الذي كان بمثابة حلم تحوّل، بسبب عدم تأهيل الشبكات ومحطات التكرير، الى كابوس يؤرق أبناء قرى دير الأحمر ودار الواسعة وشليفا وبوداي وقرى بيت مشيك والسعيدة، وصولاً الى حدث بعلبك وطاريا وشمسطار. وأوضح شريف لـ«الأخبار» أن أعمال تأهيل شبكة الصرف الصحي وتحديث المحطات التي انطلقت الصيف الماضي توقفت منذ تشرين الثاني المتعهدة (نيوليبانون) والوزارة، فيما عزا رئيس مجلس إدارة «نيوليبانون»، علي نيازي دندش، عدم إكمال الأشغال الى ارتفاع سعر الدولار. وأوضح لـ«الأخبار» أن كلفة المشروع تبلغ ثلاثة مليارات ليرة، «وقد اعترضنا لدى وزارة الطاقة والمياه على قيمة المشروع عند ارتفاع سعر الدولار. إذ كيف نكمل الأشغال ونشتري متطلبات المشروع بسعر صرف 4500 ليرة لبنانية للدولار الواحد، فيما الوزارة تدفع لنا 1507 ليرات للدولار؟».

وبسبب طبيعة اليمونة الجغرافية، فإن شبكات الصرف الصحي في البلدة موصولة جميعها الى محطة ضخ أنشئت بجوار البركة، يُفترض أن تضخ المياه الآسنة نحو محطة التكرير التي تبعد حوالى 600 متر. وفي حرم محطة التكرير التي لا تعمل، أنشئت بركة ضخمة أيضاً لتجميع المياه الآسنة باتت تشكل مصدر تلوث آخر للأراضي الزراعية. ولفت شريف الى أن شبكة الصرف الصحي القديمة تعاني من تسرّبات زادت نسبتها بعد توصيل الشبكة الجديدة عند محطة الضخ، ما يسمح باختلاط الصرف الصحي بالمياه العذبة قبل دخولها في نفق يغذّي أكثر من 40 قرية وبلدة.

المهندس عامر شريف، المكلف من بلدية اليمونة الإشراف على أشغال الشركة المتعهدة، أوضح أن الخطوط المنفذة سابقاً في شبكة الصرف الصحي كانت تعاني من شوائب تقنية وتنفيذية، و«خصوصاً لجهة الريغارات التي تفتقر الى عوازل من الخارج، ما يسمح بتسرب المياه الآسنة. كما أن القساطل التي استخدمت في الشبكة صغيرة (10 إنش)، ما يؤدي الى تسرب كبير مع ازدياد الضغط عليها نتيجة عدم تشغيل محطتي الضخ والتكرير». وأبرز تقارير خطية تطالب فيها البلدية بنقل موقع محطة الضخ وإبعادها عن البركة وإعطائها الأولوية في التأهيل والتحديث قبل الشبكة، «حتى لا نصل الى ما وصلنا إليه اليوم... ولكن لم يسمعنا أحد». شريف أشار الى أن محطة الضخ التي تعمل على الكهرباء لا يتمّ تزويدها بالمحروقات لتشغيل المولد فيها، ما يؤدي الى فيضان المحطة وتسرّب المياه الآسنة الى البركة. أضف الى ذلك إن «تنفيذ الشبكة الجديدة غير مطابق للمواصفات والشروط الفنية المحددة، لجهة العيوب في الريغارات، وأيضاً لجهة مرور الشبكة الجديدة في منطقة غنية بالينابيع».

> عيوب في التنفيذ والمتعهد يوقف الأشغال بعد ارتفاع سعر صرف الدولار

(الأخبار)

محطة فلاوي تنتظر الكهرباء

في كل مرة يزداد فيها الحديث عن تلوّث مياه اليمونة التي تغذّي 42 قرية بمياه الشفة، تطفو اقتراحات بضرورة إنشاء محطة تكرير لمياه الشفة، علماً بأن هناك محطة تكرير لمياه الشفة بمواصفات عالية أنشئت في جرد بلدة فلاوي منذ عام 2003 ولم يتم تشغيلها حتى اليوم نتيجة إهمال أبسط متطلبات تشغيلها، كتعبيد الطريق إليها أو إنشاء محوّل كهربائي يزوّدها بالتيار الكهربائي لإبعاد هاجس المحروقات.

قضية

«موسم الدخان» تبخّر «فرق عملة»

موسى السيد حسين

أصاب سهم الدولار مزارعي التبغ مرتين حتى الآن. فمن جهة، أدّى ارتفاع أسعار المواد الأساسية للزراعة إلى تلاشي غلّة الموسم، تلقائياً، بعدما ذهب أكثر من نصف قيمة المحصول «فرق عملة». ومن جهة أخرى، أدّت سياسات المصارف التقييدية إلى تقسيط مستحقات المزارعين المودعة لديها من إدارة «الريجي» عن العام الماضي، بـ«القطارة»، ناهيك بوقف المصارف هذا العام منح هؤلاء الفلاحين «امتياز» ما يُسمّى بـ«رهن الرخصة». فعلى مدى سنوات، اعتاد المزارعون، لتأمين متطلبات الموسم الذي يزرعونه، على رهن الرخص التي يحملونها مقابل بضعة ملايين من الليرات هي من «عبّ» المزارع أساساً، وبفائدة تصل إلى 13%. وعلى سوء هذا الإجراء واستغلاله لفقر هؤلاء، إلا أن وقفه يضع مزارعي التبغ، شمالاً وجنوباً وبقاعاً، أمام معضلة تأمين كلفة الإنتاج للموسم الجديد، ولا يبقي أمامهم للاستمرار على قيد الإنتاج سوى الوقوع في «مصيدة الدَّين».

أما الإصابة الثالثة، والقاتلة، التي يخشاها المزارعون فهي تلك المتوقّعة في حال لم يُصر هذا العام إلى تحسين الأسعار، بما يعوّض الفجوة التي أحدثها هبوط قيمة الليرة، ويسدُّ عوز أكثر من 24 ألف أسرة تعتاش من هذا القطاع، في ظل غياب تام لأبسط الضمانات المساعدة في التعليم والصحة والطبابة.

رئيس «تجمُّع مزارعي التبغ» خليل ذيب أوضح لـ«الأخبار» أنّ ارتفاع سعر صرف الدولار زاد بنحو مضاعف الكلفة الأساسية لزراعة التبغ، من تأهيل للتُّربة بالأسمدة والمبيدات والحراثة والسقاية إلى جانب المعقّمات، ناهيك بأن المزارعين، شأنهم شأن بقية المستهلكين، يعانون من ارتفاع أسعار السلع ما أوقعهم في ديون مرهقة. وفي حال تسليم المحصول هذا العام وفق تسعيرة المواسم الماضية، «فإن ذلك معناه عجز تام عن تغطية أكلاف الزراعة ومعها أكلاف العيش، وخصوصاً بعدما أدت الأزمة الاقتصادية وأزمة كورونا إلى توقف أعمال حرة كانت تساعد على الاستمرار في زراعة لا تطعم خبزاً وحدها». فيما يلفت نقيب مزارعي التبغ حسن فقيه إلى أن أسعار التبغ لم تتغيَّر منذ سنوات إلا بشكل طفيف. ويشدّد على أنه في ظل الأوضاع الحالية فإن «سعر كيلو التبغ لا ينبغي أن يقلّ عن 25 ألف ليرة كحدّ أدنى (السعر الحالي هو حوالى 13 ألف ليرة)». وإلا فإن «هذه الزراعة التاريخية معرّضة للاندثار، علماً أنها تشكل المورد الرئيسي لآلاف الأسَر وتدرّ على خزينة الدولة سنوياً مئات ملايين الدولارات».

ورغم أن المفترض، في هذه «الصناعة» أن تكون العلاقة تكاملية بين البذرة مروراً بالشتلة وصولاً إلى السيجارة، فإنها لا تبدو كذلك في ما يتعلق بالأسعار، إذ أن الزيادات التي فرضتها «إدارة حصر التبغ والتنباك»، مع تغير سعر صرف الدولار، على أسعار منتجاتها «الوطنية»، لم تنسحب على أسعار المحاصيل التي لا تزال تتسلّمها من المزارعين وفق الأسعار «القديمة».

مدير الريجي ناصيف سقلاوي وصف موضوع تعديل الأسعار بـ«الحساس»، وهو من صلاحية وزارة المال، مشيراً إلى أن الإدارة سترفع كتاباً في هذا الشأن إلى وزير المال غازي وزني قبل شهرين من موعد تسليم الموسم الحالي، بين تشرين الأول وتشرين الثاني المقبلين. إلا أن هذا الموعد المتأخر لا يعكس قناعة بإمكانية تحقيق أي تعديل في الأسعار. وتؤكد ذلك على أي حال إشارة مدير الزراعة والمشتري في الريجي، جعفر الحسيني، إلى أنّ شيئاً على هذا الصعيد لم يتبلور بعد على المستوى الإداري داخل الريجي، واضعاً كرة التسعير أيضاً في ملعب وزارة المال باعتبارها سلطة الوصاية!

في المحصلة، يدُّعي الجميع في لبنان وصلاً بشتلة التبغ، لكن الوصال مشروط فقط بلملمة بقايا المزارعين، وإنقاذ آلاف الدونمات من شبح «البور» في حال تم تشييع شتلة التبلغ «البعلية» إلى مثواها الأخير... إلا إذا أصلح «الريجي»، ومن خلفه الجهات المسؤولة، ما أفسدَه الدولار!

أكثر من 24 ألف أسرة تعتاش من هذا القطاع في غياب تام لأبسط ضمانات التعليم والصحة والطبابة (علي حشيشو)

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

اغتيالات الشيوعيّين في لبنان: عندما هَمَس غازي كنعان في أُذُن كريم مروّة

أسعد أبو خليك *

لا شكّ في أنّ الفريق الذي تولّى شأن الدعاية السياسيّة والتحريض ضد حزب الله في لبنان، بعد اغتيال رفيق الحريري مباشرةً (وبالنيابة عن التحالف الإسرائيلي ـ الأميركي ـ السعودي ـ الحريري)، قرّر مبكراً التقليل من شأن مقاومة حزب الله والتعظيم المفرط (والخيالي) في مقاومة «جَمّول»، يومها، تصدّر إلياس عطاالله المشهد السياسي، وكان الإعلام السعودي ـ الحريري يستضيفه ويقدّمه على أنه قائد مؤسّس لـ«جَمّول» (والقول إن إلياس عطاالله هذا كان قائد «جَمّول» ينقّض من مصداقيّة «جَمّول» على الفور، إذ إنه عليك أن تُقنع أهل الجنوب أنّ عطاالله كان أعظم أثراً وشأناً في مقاومة العدوّ من عماد مغنيّة، مثلاً، أو من أيّ مقاتل ضد إسرائيل في حرب تمّوز). لكنّ السرديّة لم تتوقّف، بل تدحرجت ككرة الثلج، وقرّر النظام السعودي أنّ قائمة الحريري الانتخابيّة يجب أن تضمّ إلياس عطاالله. هل يعني هذا، أنّ التحالف الذي يبدأ في الرياض وينتهي في واشنطن، ويمرّ في تل أبيب، لم يمانع ضمّ المسؤول الأوّل عن تحرير الجنوب من احتلال إسرائيل، على قائمة الحريري، الذي كان مُسيَّراً من قبل جيفري فيلتمان؟ هناك ما لا يستقيم في هذه الأطروحة.

لكنّ اللافت أنّ الحملة التي كانت جزءاً من مخطّط الحكومة الأميركيّة لنقل لبنان من معسكر إلى آخر بعد اغتيال الحريري، باتت تظهر ليس فقط في كتابات 14 آذار (ويسار 14 آذار الذي بات يتزيّن بشعارات الساو ساو سورة)، بل أيضاً في كتابات بعض الشيوعيّين الحاليّين على مواقع التواصل. الشيوعي اللبناني بات يصدّق أنّ «جَمّول» هي التي حرّرت جنوب لبنان، وأنّ مقاومة حزب الله لم تكن أكثر من كومبارس. هاكم وهاكنّ توصيفاً من موقع الحزب الشيوعي الرسمي: «ولقد قامت قوى أخرى بمتابعة هذه المهمّة منفردة تحت مسمى المقاومة الإسلامية، حتى تحقّق الانتصار الذي لا يمكن لأحد أن يزوّر دورنا الكبير في صنعه». وليس واضحاً إلى من يتوجّه الحزب بكلامه هذا؟ نصر الله، مرّة أخرى، يذكر قبل أسابيع دور الشيوعيّين في التحرير، فيما بعض الشيوعيّين باتوا ينكرون الدور الأعظم لحزب الله في التحرير. والتشديد على دور «جَمّول» بدأ في إعلام رفيق الحريري، بعد وفاته (في جريدة «المستقبل») ثم انتقل إلى وسائل التواصل. وسنة بعد سنة، خصوصاً بعد انتفاضة تشرين، تكبر أسطورة «جَمّول» وتصبح هي محرّرة الجنوب، وتسود خبريّة أنها كانت ستُكمل حتى النهاية، لولا أنّ حزب الله منعها (أي منع إلياس عطاالله، قائدها) من إتمام المهمة. ويرتابط التركيز (المعادي لـ«جَمّول»، إذ إننا نتحدّث عن إعلام حريري وسعودي وأميركي وقطري يميني رجعي) على دور «جَمّول»، مع تركيز موازٍ على دور حزب الله في حملة اغتيالات ضدّ قادة شيوعيّين في الثمانينيّات. وهنا، يلاحظ المرء أنّ الحزب الشيوعي اللبناني بات أكثر تذكّراً لهؤلاء الشهداء دون غيرهم، وهناك اتهام (بالتصريح حيناً والتلميح حيناً آخر) لحزب الله بالمسؤوليّة عن تلك الاغتيالات. ولماذا استثنى الحزب الشيوعي اللبناني عن تذكّر هؤلاء الشهداء، وامتنع عن اتّهام حزب الله (إذا كان يرى أنّ حزب الله هو المسؤول) طيلة هذه السنوات والعقود؟ لا، ليس ذلك فقط: كيف ولماذا تحالف الحزب مع حزب الله في السياسة في أكثر من مفصل، منذ الثمانينيات حتى اليوم، بالرغم من يقينه عن مسؤوليّة الحزب عن هذه الاغتيالات؟ ولماذا أسبغ قادة شيوعيّون (من الذين يحمّلون حزب الله المسؤوليّة عن اغتيال قادة شيوعيّين) مثل كريم مروّة، المديح وآيات التبريك على قادة حزب الله عبر السنوات (قبل أن ينتقل مروّة وصحبه من المعسكر الستاليني السوفياتي إلى المعسكر الحريري السعودي، بعد اغتيال الحريري مباشرة ـ طبعاً. الانتقال لا يكون بين ليلة وضحاها لكن التصريح عن الانتقال يُعلن في لحظة سياسيّة معيّنة مؤاتية، مثل اغتيال الحريري عندما انتعش المشروع الرجعي اليميني وتلقّف كوادر وقادة يساريّين سابقين). لكن، الحزب الشيوعي ليس مسؤولاً عن التنكّر لضحايا اغتيال على يد حزب الله ـ لو صحّ ذلك ـ كل هذه السنوات فقط، بل هو تنكّر لضحايا شيوعيّين قُتلوا على غير يد حزب الله، وبأعداد أكبر. اليوم، بعض الشيوعيّين لا يتذكّرون من الشهداء، إلّا هؤلاء الذين يقولون إن حزب الله اغتالهم.

لم تُرتكب في تاريخ لبنان جرائم ضد الشيوعيّين أكثر من حزب الكتائب و«الأحرار». إنّ حزب «الكتائب» (و«القوّات اللبنانيّة») في ما بعد) تقصّد استهداف الشيوعيّين وقتلهم وتعذيبهم في كل مناطق نفوذ «الكتائب» (كما استهدف سوريين قوميّين). وينسى البعض أن أكذوبة الانعزاليّة المتجدّدة عن أن اليمين الانعزالي لم يشنّ الحرب إلا ضد «الفلسطينيّين»، وذلك من ضمن صراع ضد مشروع التوطين، لم تتوافق مع حجّة «الكتائب» الأولى عن الحرب في عام 1975. يومها (أي في عام 1975)، كان حزب «الكتائب» ينزّه المقاومة الفلسطينيّة، ويلقي بكل اللوم في الأزمة اللبنانية على اليسار اللبناني. وفي خريف عام 1975، انضمّ سليمان فرنجيّة إلى جوقة «الكتائب» في إلقاء اللوم على اليسار اللبناني، وذلك لتسويغ الحرب الأهليّة. تصريحات فرنجيّة وشمعون والجميّل، تناغمت في كانون الأول/ ديسمبر 1975، في لَوْم اليسار اللبناني والتحريض ضدّه. وتُرافق ذلك مع جرائم تهجير وقتل ضد شيوعيّين، خصوصاً في مناطق خاضعة لنفوذ الانعزاليّين. خذ (وخذي) مثلاً، ما جرى في صاليما في منتصف كانون الأول/ ديسمبر من عام 1975: خطف كتائبيّان وليد توفيق المصري، عضو اللجنة المنطقيّة في جبل لبنان في الحزب الشيوعي، وأطلقا عليه النار وأرداياه قتيلاً ورميا به في السيّارة. مئات من هذه الأحداث تكرّرت، غير تلك التي استشهد فيها شيوعيّون في معارك عسكريّة ضد الانعزاليّين. لكن الحزب الشيوعي وجود (والشيوعيّون على مواقع التواصل) لا يذكرون أيّاً من هؤلاء، ولا يذكر الحزب مسؤوليّة الذين قتلوا هذا العدد الهائل من الشيوعيّين. كان للحزب الشيوعي وجود فاعل في المناطق «الشرقيّة»، لكنّه اختفى بسرعة، بعد اندلاع الحرب، إمّا بسبب التهجير الفعلي أو القتل على يد الانعزاليّين. أحزاب ميليشيات الانعزاليّين لا تزال تذكر قتلاها، ولا تزال تتهم بالأصبع المسؤولين (برأيها) عن قتلهم، فيما يتعامل الحزب الشيوعي (وغيره من أحزاب اليسار الحركة الوطنيّة البائدة) مع شهدائهم، على أنهم قضوا بحوادث سير متراكمة. لماذا لا يذكر الحزب الشيوعي، وشبابه على مواقع التواصل، كلّ هؤلاء، بل يتذكّر فقط شهداءه الذين يتّهم الحزب باغتيالهم في الثمانينيّات؟ وهل ورد الحديث عن تلك الحملات والمجازر الكتائبيّة ضد الشيوعيّين، في اللقاء «التنسيقي» بين شباب الحزب الشيوعي اللبناني وشباب حزب «الكتائب» في زمن ما يُسمّى بـ«الثورة اللبنانيّة»؟ أم أنّ الأمر طواه النسيان لمدّ الجسور بين الفرقاء؟

ليس هذا فقط، بل إنّ الحزب نسيَ أيضاً عشرات الضحايا من الشيوعيّين الذين قتلوا في صيف 1983 في طرابلس، في معارك بين قوّات النظام السوري (وكان قائد «جَمّول»، إلياس عطاالله، يقاتل معهم) وبين قوّات ياسر عرفات ودكّاته آنذاك، «حركة التوحيد». ولم يكتفِ ظلاميّو «التوحيد» بقتل الشيوعيّين، بل رموا جثثهم في البحر، كي لا تتلوّث الأرض بهم، بحسب قولهم. هذه كانت من أكبر المجازر ضد الشيوعيّين في سنوات الحرب. هذه مثلاً، لا ترد في كتابات الحزب الشيوعي وبياناته وتغريدات مناصريه الشباب على مواقع التواصل. لا، بل إنّ ياسر عرفات لا يزال يُذكر بالخير في كتابات الحزب الشيوعي اللبناني، ولا يرد عنه إلا أقوال التكريم والتبجيل. هل هذه الخطف التي جرت من قبل منظّمات، مثل «الجهاد الإسلامي» أو «منظمة المستضعفين في الأرض»، لكنّ الحزب لم يعترف يوماً بمسؤوليّته عن تلك الأعمال، التي أعلنت تلك التنظيمات مسؤوليّتها عنها. ولنفترض أنّ عناصر في تلك التنظيمات انضووا في ما بعد في صفوف حزب الله، عند انطلاقته في عام 1985، فلماذا يستنكف الحزب عن إعلان مسؤوليّته عن تلك الاغتيالات؟ لماذا يكون ذلك العمل الوحيد الذي يستنكف الحزب عن إعلان المسؤوليّة عنه؟ حتى تفجير بوينس ايرس في عام 1994، أعلنت منظمة «الجهاد الإسلامي» مسؤوليّتها عنه (يخلط الإعلام الغربي، كما العربي، بين منظمة «الجهاد الإسلامي» وبين منظمة «الجهاد الإسلامي» اللبنانيّة).

ولماذا يصرّ بعض الشيوعيّين (السابقين ـ رجعي ـ وبعض الحاليّين) على تحميل حزب الله، وفقط حزب الله تلك المسؤوليّة؟ لماذا لا يكون هناك مناقشة أو تحقيق رسمي أو حتى صحافي في الموضوع؟ ولماذا لا تتمّ الإشارة إلى احتمال تورّط حركة «أمل» في المسؤوليّة عن تلك الاغتيالات؟ لا أقول إن هناك وثائق أو قرائن تثبت بالقاطع مسؤوليّة حركة «أمل» عن تلك الاغتيالات، لكن يمكن بناء حجّة قانونيّة عن احتمال مسؤوليّة الحركة. ما هي تلك الحجج؟ أولاً، السياق المعاصر للصراع بين «أمل» والشيوعيّين في الجنوب وبيروت. خلافاً، للعلاقة بين حزب الله والشيوعيّين، هناك تاريخ سنوات من الصراع الدموي بين الحركة وبين الشيوعيّين في قرى ومدن الجنوب؟ هذا السياق لا يرد بتاتاً في المحادثات الإعلاميّة عن الموضوع. كان بين اليسار اللبناني وحركة «أمل» ثأرٌ مكتوم.

في صيف عام 1976، عندما بدأت قوّات النظام السوري بالتدخّل العسكري، إلى جانب القوى الانعزاليّة، عارضتها قوى اليسار، ودافعت حركة «أمل» وكامل الأسعد عن هذا التدخّل، إضافة إلى بعض التنظيمات الموالية لسوريا، يومها (مثل «اتحاد قوى الشعب العامل»). وشنّت قوى المقاومة والحركة الوطنيّة، حملة عسكريّة انتهت فيها الوجود العسكري لهذه القوى، وفي حالة «أمل» من الجنوب إلى بيروت. وكانت الحركة ضعيفة، آنذاك، ما يفسّر أنّ المعارك لم تستمرّ أكثر من يومين فقط (اليمين اللبناني نفسه الذي يستخدم موسى الصدر اليوم، كأنه كان من مؤسّسي حركة 14 آذار، يتناسى أنه كان أقرب حليف إلى النظام السوري في كل لبنان على مرّ سنوات الحرب). لم تنتعش حركة «أمل»، في أواخر السبعينيّات وفي أوائل الثمانينيّات، إلّا بفعل عوامل ثلاثة: 1) لم تترك الحركة الوطنيّة سمعة عطرة لها بين الناس، وانتشر فيها الفساد وعمّ الارتزاق والانتفاع والانتهازيّة (هل من الصدفة أنّ معظم قادة الحركة الوطنيّة انتهوا ارتزاقاً عند رفيق الحريري؟). كما أنّ الحركة الوطنية فشلت في حماية الجنوب من عدوان إسرائيل، وكان أداؤها العسكري مرتبطاً بفشل القيادة العرفاتيّة التي لم تشكّل يوماً في لبنان مقاومة فاعلة ورادعة. كذلك، فشلت الحركة الوطنيّة في تشكيل قوة مقاومة حامية للجنوب. 2) غياب موسى الصدر أعاد الحنين إلى قيادة من خارج صف الحركة الوطنيّة، كما أنّ غيابه أعاد الاعتبار إلى قيادته وشخصيّته، بعدما كانت قد تأثرت بارتباطه الوثيق بالنظام السوري. 3) كان من مصلحة قوى الرجعيّة (في الدولة وخارجها) دعم بديل قوي عن الحركة الوطنيّة.

وفي سياق صعود حركة «أمل» الثاني، نشبت بينها وبين الحزب الشيوعي (ومنظمة العمل وغيرها، وإن بدرجة أقل) معارك واشتباكات دامية. لماذا طُمست هذه المعارك من التاريخ؟ كانت هناك في القرى وفي بيروت عوامل نزاع ورغبات ثأريّة على مرّ سنوات. والثمانينيّات في نصفها الثاني، كانت المرحلة التي نجحت فيها «أمل» ببسط النفوذ في الجنوب والضاحية على حساب اليسار. لكنّ هذه الهزيمة لليسار الشيوعي، سبقت ذلك التاريخ: بحلول عام 1982، كان الجنوب اللبناني تحت السيطرة «أمل»، وكانت العناصر الشيوعيّة بدأت بالهجرة من التنظيمات الشيوعيّة. إما إلى المنازل والمهاجر أو هي التي طردت دينيّة أو رجعيّة مختلفة. إنّ إتلاف المكتبات الشيوعيّة الشخصيّة بدأ في صيف 1982، وكانت حاويات النفايات على كورنيش المزرعة شاهداً على ذلك، وكان بعضنا يتسابق على نشل ما استطاع منها، قبل أن تلتهمها النيران.

واغتيال القادة الشيوعيّين جرى في زمن غازي كنعان، بعد عام 1987. فجأة، تذكّر كريم مروّة (من شاشة خليجيّة) أنّ كنعان همس له بأنّ حزب الله هو المسؤول. (تناقل المئات على مواقع التواصل هذه الخبريّة المنقولة عن مروّة، ولم يعلّق أحدهم على هذه الحميميّة بين المجرم الفاسد كنعان وبين الليبرالي مروّة الذي بات يؤيّد «ثورة» الشعب السوري). لكن لماذا سكتَ مروّة كل هذه السنوات؟ ألم يكن ملزماً أمام كلّ جمهور الحزب الشيوعي (وكان قياديّاً فيه) بأن يصارحهم بالحقيقة في حينه، لا أن يتسرّر على هويّة القاتل كل هذه العقود؟ طبعاً، نسب أي رواية لكريم مروّة شخصيّاً، أو لغازي كنعان شخصيّاً، يضفي على الرواية صفراً من المصداقيّة.

ثم إن كانت هناك اغتيالات كثيرة تجري في بيروت الغربيّة، على يد جهات إسرائيليّة عدوّة وحتى على يد أحزاب في الحركة الوطنيّة (زالت من الذاكرة اغتيالات قام بها الحزب التقدمي الجنبلاطي). ففي شهر أيّار/ مايو الذي استشهد فيه «مهدي عامل»، أعلن غازي كنعان اعتقال مجموعة من 8 أعضاء بدبرها «أبو شعيب»، بتهمة «التفجيرات الأمنيّة في بيروت الغربيّة»، وأعلن أنّ الرأس المخطّط لهذه المجموعة هو أبو هيثم (قيادي في زمانه في حزب جنبلاط). و«أبو شعيب» كان ممثل الحزب التقدمي الاشتراكي في «لجنة التنسيق» لبيروت الغربيّة. ونشرت جريدة «الشرق الأوسط»، في منتصف أيّار/ مايو 1987 مقالة مسهبة تحت عنوان «اتهام مسؤول تقدمي اشتراكي بتفجيرات بيروت»، وأعلنت القوى الأمنيّة اللبنانية والسوريّة أنّ «أبو شعيب» كان يعدّ لحوالى 30 عمليّة تفجير أخرى بهدف إيجاد بلبلة أمنية والتشويش على المسيرة الأمنيّة في بيروت الغربيّة». وللعلم، فإنّ غازي كنعان كان على عداء شديد مع حزب الله (طبلة حياته، لكن خصوصاً في عام 1987) ولو كان يملك دليلاً على تورّط حزب الله في الاغتيالات، لما كان اقتصر على إعلان ذلك همسة في أذن كريم مروّة، بل كان أعلن ذلك على الملأ، وهو الذي دشّن دخوله بيروت الغربيّة بمجزرة فتح الله. كلّ هذه التفاصيل لا ترد على مواقع التواصل الاجتماعي، عند الحديث عن زمن اغتيالات الشيوعيّين في لبنان، في أواخر الثمانينيّات. هذا من دون أن أفصل بمسؤوليّة قاطعة لهذا الطرف أو ذاك، إنّما أجد من الضروري أن يكون هناك تشكيك بروايات تأتي دائماً من مصادر تنضوي في الفريق السعودي ـ الإسرائيلي ـ الأميركي ـ الحريري وتفرّعاته اليساريّة (المزيّفة).

هناك مشروع عالمي للقضاء على مقاومة لبنان. لم يحدث منذ إنشاء دولة إسرائيل أن كانت هناك حركة مقاومة في لبنان أو فلسطين أو الأردن أو سوريا، بحجم وفعاليّة وقدرات المقاومة اللبنانيّة الحالية. تُنفق أميركا المليارات من أجل النيل من سمعة المقاومة، ومن أجل القضاء عليها بكل الوسائل. وتشارك في هذه الحملة (عن وعي وسابق تصوّر وإصرار أو عن جهل وغباءً وانجرار) قوى تتطفّل على اليسار أو هي من اليسار. لقد تشوّش مفهوم اليسار عند البعض في لبنان، إلى درجة أنهم يطلقون صفة اليسار على من انضم إلى فريق الحريري. هل كان السفير البريطاني، في نعيه قبل أيّام لسمير قصير، ينعى شخصيّة يساريّة أم يُمينيّة؟ هل سفارة وعد بلفور باتت شديدة الحرص على اليسار؟

إن تقدير مساهمات وتضحيات وبطولات «جبهة المقاومة الشعبيّة» وبعدها «جَمّول»، من واجباتنا نحو رفاقنا. لكننا لا نكون نعبّر عن احترام شهدائنا، عندما نقدّم شهادة مزوّرة عن إنجازات مقاومة اليسار وتصويرها على أنها هي التي طردت إسرائيل من لبنان. مقاومتنا كانت صغيرة ومتواضعة وعفويّة، وأحياناً كارثيّة في ارتجاليّتها (كان أحياناً جورج حاوي يكلّف رفيقاً بعمليّة في سهرة). وأوّل عمليّة لـ«جبهة المقاومة الشعبيّة لتحرير لبنان من الاحتلال والفاشية» (وهي سبقت «جَمّول»، والتي سقط فيها رفيقي، إياد نور الدين المدوّر) لم تكن مدروسة بتاتاً.

الحديث هذه الأيّام بكثر عن أن اليسار، خلافاً لحزب الله، لم يكن فاسداً. اليسار لم يكن فاسداً؟ لقد أجّر جورج حاوي ووليد جنبلاط وغيرهما مقاتليهم لنظام معمّر القذّافي، كي يحاربوا في تشاد مقابل المال. لقد راكم قادةٌ في الحركة الوطنيّة الملايين من نضالهم ومن تمويلهم الخارجي المتعدّد الأطراف. ولقد سطا قادة في اليسار على أملاك لـ«منظمة التحرير» كانت قد سجّلتها باسمهم، بعد رحيلها عن لبنان في صيف 1982. وانتهى الكثير من قادة اليسار في حاشية رفيق الحريري: هل استمالهم الحريري بسحر الشخصيّة أم بالمال؟ حقّنا أن نسجّل دور «جَمّول»، لا أن نكذب في تسجيل الدور، وأن ننسى الدور الأكبر لمقاومة لا سابق لفعاليّتها وقدرتها ونجاحها، وإن اختلفنا نحن في اليسار مع أيديولوجيّتها.

حقّنا أن نسجّل دور «جَمّول»، لا أن ننسى الدور الأكبر لمقاومة لا سابق لفعاليّتها ونجاحها وإن اختلفنا نحن في اليسار مع أيديولوجيّتها

* كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

الأزمة... واستغلال الأزمة!

سعد الله مزرعاني *

في خضمّ مخاض متواصل وتُثقل بصنوف المعاناة التي ضربت الأكثرية الساحقة من اللبنانيين، تراوح محاولات الخروج من الأزمة بين العقم والشبهة. ذلك أنّ القوى المسؤولة عن الأزمة، ما زالت هي التي تُمسك بناصية القرار، بما في ذلك داخل الحكومة نفسها. أمّا الانتفاضة الشعبية التي انطلقت بمعظمها عفوية وطبيعية، فقد عجزت عن بلورة خطة وبرنامج مناسبين، فضعُفت وتراجعت، ومن ثم انكفأت كلياً، تقريباً، تحت تأثير انتشار وباء «كورونا» أيضاً. وسط ذلك، تقدّم الدور الخارجي، حتى بات اللاعب الفاعل شبه الوحيد في مشهد الجائحة التي ضربت لبنان في شقّيها الصحّي والمعيشي. سيكون من قبيل التواطؤ أو دفن الرأس في الرمال، تجاهُل واقع أن محاولة شاملة ومواظبة تجري، جهاراً نهاراً، من أجل رهن كل حلحلة للأزمة الاقتصادية الراهنة، بشروط عرقوبية تمر حتماً بدفع البلاد نحو الفوضى والفتنة القاتلتين، سعياً للنيل خصوصاً من المقاومة ضد العدو الصهيوني.

نعيد التذكير بأنّ الأزمة حقيقية وكبيرة وخطيرة. وهي قد عبّأت وستعبئ أكثر، واستهدفت وستستهدف أكثر، مئات آلاف المتضرّرين ممّن أصابهم الخراب، ويهدّدهم الجوع. هؤلاء باتوا الأكثرية الشعبية الساحقة التي انحدرت، بشكل دراماتيكي، إلى خط الفقر وما دونه، وباتت تشكل حوالى نصف اللبنانيين. إذن، الجدال ليس بشأن وجود الأزمة وحجمها الخطير (أكثرية مسبّبيها تحاول إنكارها وتراهن على خمول المتضرّرين منها، أو على استيعاب احتجاجاتهم بتشتتها أوتشتيتها أو إغراقها، كالعادة، بالعصبيات والانقسامات الطائفية والمذهبية). إنه بشأن كيفية الخروج من الأزمة وبمن؟ ولمصلحة من؟! قوى المحاصصة المتسلّطة سعت وتسعى، بكل الطاقة بالتالي للاحتفاظ بمواقعها وللإفلات من العقاب. أمّا قوى الانتفاضة، فمدعوّة إلى مراجعة تجربتها وإلى مغادرة السياسات والمقاربات والأساليب القديمة. والمطوب دائماً أن تنخرط الفئات المتضرّرة في النضال على أوسع نطاق. والمطلوب، في السياق إياه، أن تسعى قوى التغيير إلى بلورة برنامج وطني اقتصادي اجتماعي شامل، يضع الأمور في نصابها ويجنّد جهود ومطالب المتضرّرين في مشروع إقامة سلطة بديلة قادرة على قيادة المرحلة الانتقالية وبالتالي على العبور بالبلاد إلى مسار يجري أثناءه احتواء الأزمة، ومن ثم التأسيس لنظام سياسي واقتصادي جديد. هذا النظام، هو بالمقاييس اللبنانية، أشبه بثورة على النظام القديم الذي بات عقبة أمام توحيد البلاد والشعب، وأمام الازدهار والاستقرار، وأمام تحديات الوحدة الوطنية والسيادة، وأمام علاقات سليمة للبنانيين: في ما بينهم، ومع الخارج.

هذا الاستدراك للقول إنّ الكلام عن أزمة ليس مؤامرة. المؤامرة الحقيقية، تكمن في مكانَيْن: الأول، في عدم اتخاذ الإجراءات الضرورية العاجلة والصحيحة لمعالجتها. والثاني، في استغلال هذه الأزمة ودفعها إلى الحد الأقصى من التفجير، بهدف توظيفها في خدمة أهداف خارجية هي في الراهن من التطوّرات ذات صلة وثيقة بالمشروع الأميركي الصهيوني («صفقة القرن»)، لتصفية حقوق شعب فلسطين، ومحاولة فرض مشروع هيمنة شاملة على المنطقة، تقوده واشنطن وتل أبيب.

ثمة من المواقف والإجراءات والتدخّلات، ما يثبت، كل يوم، أنّ الإدارة الأميركية تخوض بالتعاون مع حلفائها في أكثر من بلد عربي وبالشراكة مع تل أبيب عمليات ضغط متواصلة، علنية ووقحة غالباً، من أجل تمهيد الطريق وإزالة العقبات أمام «صفقة القرن». آخر حلقات هذه العمليات هو مشروع «قيصر» لفرض عقوبات شاملة على سوريا وحلفائها. قبل ذلك، كان إسباغ صفة الإرهاب على حزب الله في قرار أميركي تردّد صداه، حتى الآن في لندن وبرلين وفيينا... وقبل ذلك، في خطوات واشنطن وتل أبيب بإعلان القدس عاصمة لدولة الاغتصاب، و«بشرعنة» ضم الجولان والمستوطنات في الضفة الغربية، ويهودية الدولة العبرية... أميركياً! كلّ ذلك، في امتداد التضييق على «منظمة التحرير»، وإقفال مكتبها في واشنطن، ومنع التمويل عن «وكالة غوث اللاجئين» لضرب مبدأ «حق العودة». وقد نال لبنان، في السياق، نصيباً وافراً من التدخّل في شؤونه الداخلية، وتشجيع الانقسام فيه، وإلحاق خسائر فادحة باقتصاده (وحتى بقطاعه المصرفي الذي اتّخذت خطوات للسيطرة الكاملة عليه، عبر «أصدقاء»، وبشكل سافر ووقح ومتجاوز أبسط مقومات السيادة اللبنانية!). وحالياً، يجري العمل على ملفي تعديل مهمات قوات «اليونيفيل» في الجنوب، لكي تصبح أكثر قدرة على «مراقبة» الوضع جنوباً، لمصلحة العدو الصهيوني؛ وعلى ملف الحدود مع سوريا بذريعة منع التهريب، فيما الهدف إحداث قطيعة بين البلدين، في نطاق عقوبات «قيصر» و«صفقة القرن»...

واضحٌ أنه بالتزامن مع «الهجمة» الأميركية وتصاعدها، يجري تحرّك وتحريك مجموعات لبنانية انتقلت مباشرة إلى تبنّي شعار نزع سلاح المقاومة، بذريعة أنّ هذا السلاح هو سبب الأزمة، ونزعُه هو السبيل لمعالجتها! التحرّكات التي جرى تنظيمها، أخيراً، كانت مفضوحة بالكامل في كونها صدى للضغط الأميركي. وقد أجتهد منظّموها، لتشوّش طريقها وتُسمع صوتها رغم ما فرضته «التعبئة» ضد وباء «كورونا» من إجراءات دفعت الأطراف الأساسية في الانتفاضة إلى الاكتفاء، ببعض التحرّكات الرمزية الممكنة في هذا الظرف الاستثنائي. طبعاً، يأتي ذلك في امتداد لمحاولات بكّرت أكثر في استغلال الأزمة والانتفاضة، من أجل طرح مسألة سلاح المقاومة بتصويره، دائماً، سبب الأزمة ومدخل حلّها. هذا برز بشكل خاص، في موقفي «حزب الكتائب» و«القوات» اللذين بالغا في «تأييد» الانتفاضة، أملاً في التأثير على مسارها وفي توظيف النقمة الشعبية لمصلحة سياسية داخلية وخارجية.

النهج التآمري الأميركي، ونشاط «المتعاونين» مع واشنطن (كما تسمّيهم هي)، خطير ومدمّر. بل هو عملية لعب مشبوهة بمصير البلاد وبوحدة شعبها. طرد المحتل، إنجازٌ صنعة المقاومون بدمهم وتضحياتهم وبطولاتهم، وبكلّ أطرافهم ومكوناتهم. إنّها النقطة الأشرف في التاريخ اللبناني والعربي الحديث. وهي في وضعها الراهن، رغم ملاحظات تقل أو تكثر بشأن البعض أو الكثير من سياساتها وتحالفاتها الداخلية، عامل ردع حقيقي ضد مغامرات واعتداءات العدو الصهيوني المتربّص، وضمانة أكيدة للسيادة الوطنية. الأمر الأخير هو المستهدف، وليس بعض سياسات وتحالفات حزب الله الداخلية أو طابعه الديني أو المذهبي.

لن نملّ من التكرار، هنا، مرة جديدة، أنّ واشنطن وأدواتها وقوى المحاصصة والنهب التي دفعت البلاد والشعب إلى الأزمة القاتلة الراهنة، تستفيد أيضاً من غياب مشروع وطني يتوحّد من خلاله الحريصون على منع استغلال الأزمة لإحداث فتنة بين اللبنانيين، من قبل واشنطن وتل أبيب، وأساساً، على معالجة سليمة لها لمصلحة الشعب والوطن.

* كاتب وسياسي لبناني

الحدث

اختراع العرق الأبيض
الإمبراطورية ومخاصات الأفول

أحمد حسن

«لم تولد العبودية من العنصرية. على العكس، العبودية هي التي استولدت العنصرية»

إريك ويليامز «الرأسمالية والعبودية»

جرياً على عادة أسلافه من الأباطرة، اتّخذ «رومولوس أوغسطس»، الإمبراطور الأخير للإمبراطورية الرومانية الغربية (حكم من 460-476)، لنفسه لقب «أوغسطس». لكن الناس، والتاريخ، سيطلقون عليه استهزاء «موميلوس (العار أو الفضيحة) أوغسطولوس (الصغير)». كانت هذه إشارة، وحتى حكماً على دور ومسؤولية رومولوس أوغسطس عن سقوط الإمبراطورية. لكن «الإمبراطورية هي التي صنعت الأباطرة، وليس العكس»، تخبرنا المؤرّخة ماري بيرد في دراستها «مجلس الشيوخ والشعب الروماني: تاريخ روما القديم»» (1).

وفي الولايات المتحدة المشتعلة الآن بالاحتجاجات، ليست القضية، ولم تكن أبداً، في عنصرية ترامب، أو أي رئيس قبله أو بعده، برغم وقاحته، وحتى فاشيته، إن أردتم» (2). فبمكن للاقليدس، وبحق، أن يلوموه على الكثير (حتى على الطقس السيّئ)، لكنه لم يخترع العنصرية، وليس سبب مأسستها وقوننتها، ولم يخترع همجية الشرطة ولا قتل الأقلية. هو ورثها فقط، وبستغلها انتخابياً متى ظن أن ذلك ممكن. فالعنف المستمر ضد الأقليات هو حاجة دائمة ومستمرة وبنيوية للنظام القائم على إخضاعهم، ولا يمكنه إخضاعهم والاستمرار بالعمل والربح من دون العنف. ومن يعرف كيف تمّت كتابة الدستور الأميركي، ومن كتبه، وظروف كتابته، وحتى المساومات الموثقة التي جرت بخصوص «تجارة العبيد» تحديداً، سيعرف أن جذور القضية ضاربة في التاريخ الأميركي وبنية مؤسساته وقوانينه، حتى قبل حتى تأسيس الجمهورية بقرون» (3). ومن قرأ ما كتبه الرئيس الأسود الأوّل» (4)، أوباما، وسمع ما قاله لاحقاً» (5) في الأيام الأولى للانتفاضة، سيعرف حقاً حدود وإمكانية سمار الحراك الراهن (وهو برأيي يمثّل قاعدة مهمة من الطبقة الوسطى السوداء التي ستدافع عن النظام حتى اللحظة الأخيرة، ولها مصلحة في النظام القائم، وحتى في العنصرية ضد أبناء جلدتها). وأوباما سيدخل التاريخ، كالرئيس الذي أضرّ بالأقليات أكثر من غيره، سواء عبر الأوهام التي انتشرت في أعقاب انتخابه عن دخول أميركا مرحلة «ما بعد الأعراق» والعنصرية، أو سياساته بخصوص العلاقات العرقية وعنف الشرطة، حتى لا نتحدث عن القتل بالطائرات بدون طيار في دول الجنوب – كان الحل الذي اجترحه أوباما، مثلاً، أثناء رئاسته، لاعتداء شرطي أبيض على أستاذ أسود معروف من جامعة هارفرد هو دعوة الاثنين لشرب كاس من البيرة معه في البيت الأبيض (غُرفت لاحقاً بـ«قمّة البيرة»).

يبدو من الأكيد أن ما يجري الآن من احتجاجات لن يقود إلى «إعادة بناء الجمهورية»، التي فشلت حتى بعد حرب أهلية طاحنة (انتصر فيها سياسياً من هُزم عسكرياً)، أو أنها ربما لن تغيّر كثيراً حتى في موازين القوى في الانتخابات بعد أشهر. فالإمبراطورية عاجزة بنيوياً عن حل المشكلة العنصرية، وفي الحقيقة هي لن تكون أميركا، ولا حتى إمبراطورية، إن فعلت ذلك (إلا إذا كنا نظنّ أن تمويل طريقة حياة الغرب تتم فعلاً من عائدات السياحة والتجارة والدبلوماسية، ولا دور للعنصرية في ذلك). فالعنصرية، والتمييز ضد المرأة أيضاً، مربحان تماماً لرأس المال وهما بعض آليات تراكمه. فمعدل القيمة الفائضة يرتفع بالضرورة مع ارتفاع نسبة الاضطهاد، لما له من أثر على تخفيض الأجور وزيادة القوة الشرائية للشرائح المتوسطة والغنية، تماماً كما يرتفع أيضاً معدّل القيمة الفائضة مع العولمة النيوليبرالية في حالة دول المركز الرأسمالي (ما يسمّيه إيمانويل والرشتين «التوتر الأيديولوجي للرأسمالية»» (6).

رغم كل ذلك، فإن ما يجري على الأرض الآن لن يكون بلا تبعات، ويمكن اعتبار ما يجري الآن أحد المخاضات المتزايدة لمسار الأفول الذي دخلته الإمبراطورية منذ سنين» (7)، ومؤشراته البنيوية (اقتصادياً، سياسياً، حال البنية التحتية، إلخ) تخطى بإجماع الخبراء منذ سنين. ربما يكون هذا هو المهم في كل ما يجري الآن بسبب تبعاته البعيدة المدى خارج أميركا أيضاً.

لهذا، ففي الوقت الذي يمكن أن ترتفع فيه الآمال بتخفيف العنصرية لدى البعض نتيجة ما يحدث، فإن النتيجة قد تكون العكس تماماً، طالما لم تهتز مكانة الإمبراطورية وصورتها وأدواتها الناعمة كثيراً، وهو ما ليس بمقدور الحراك بشكله الحالي فعله. ففي غياب البديل الإيديولوجي مطلقاً، وفي ظل الهيمنة الأيديولوجية للرأسمالية المتوحشة، حتى في صفوف غالبية المحتجين الذين ينظر بعضهم إلى القضية فقط من زاويتها الأخلاقية (بلا تغييرات بنيوية)، وفي ظل توفر قدرة هائلة لدى «أجهزة الدولة القمعية»، كما يسميها لوي التوسير، لقمع الانتفاضة وتدمير الأيديولوجية المناهضة للعنصرية، وسحق طرق تنظيم المعارضة، ربما سيجد رأس المال فرصة أخرى لإعادة إنتاج العنصرية وستكون النتيجة في المدى البعيد (بمعنى الزمن الاجتماعي وليس الوقتي) عكس ما يريد المحتجّون تماماً. هذا متوقع أساساً بسبب القوة الأيديولوجية الهائلة للمنظومة الليبرالية القائمة – أوباما، مثلاً، في أقل من جملتين في كلمته أعاد إنتاج شخصيتي مالكولم إكس، الذي تبنى نظرية الاستعمار الداخلي وحتى طالب بالانفصال

> **الإمبراطورية عاجزة بنيوياً عن حل المشكلة العنصرية، وفي الحقيقة هي لن تكون أميركا، ولا حتى إمبراطورية، إن فعلت ذلك**

في البداية، ومارتن لوثر كنغ، الذي أدرك في آخر أيامه على الأقل علاقة الرأسمالية بالعنصرية، ليظهرا كأنهما كانا مؤمنين بالمنظومة العنصرية ولا يريدان سوى إصلاحها فقط» (8). هنا يكمن الخطر الحقيقي على الحراك ومساره.

أدوات الإمبراطورية الأيديولوجية

حين تقرأ عبارة عالم الاجتماع الفرنسي الآن تورين: «إن جوهر علم الاجتماع هو مقاومة كل أشكال السلطة»» (9)، أو عبارة عالم الاجتماع الأميركي هوارد بيكر الشهيرة: «في صفّ مَنْ تقفُ؟»، التي توحي بأن الاختصاصيين في هذا الحقل المعرفي يقفون دوماً وأبداً مع المضطهدين» (10)، وغيرها الكثير، فربما سنتطلع عليك فعلاً أسطورة الدور والوظيفة التحرّرية لعلم الاجتماع الغربي، ووعده المزور باسم «ملاك التاريخ لإنقاذ وعد التقدّم»، كما ادعى رئيس جمعية علم الاجتماع الأميركي مايكل بروايّ، في اجتماع الجمعية العامة في 2004» (11). هذه العبارات الطنانة تُخفي من السجل التاريخي لعلم الاجتماع الغربي نظريّات مُؤسِسة لهذا الحقل المعرفي سادت لفترة طويلة، مثل «الداروينية الاجتماعية» و«التطورية الثقافية»، وحتى «علم تحسين النسل»، وتخفي الدور الأساسي لعلماء اجتماع أميركيين مؤسسين للحقل في صياغتها وتسويقها من وليام سومنر وليستر وارد إلى إدوارد روس، كما تخفي من هذا السجل الاستثناء المنهجي والمتعمّد لـ«زنادقة» علم الاجتماع، أو ما أصبح يسمى بـ«علم الاجتماع الأسود»، فقط لتجرّئهم على التفكير بطريقة مختلفة جوهرها التنظير للعلاقة العضوية بين الرأسمالية والعنصرية، مثل ويليام دوبويس وأوليفر كوكس. هذه النظريات، المحسوبة على التيار العام لم تؤسس حقاً لأي فهم تحرري أو علمي في أي من قضايا العرق والإثنية والقومية والجندر. بل، على العكس، فلقد ساهمت لاحقاً في إنتاج المزيد من طبقات التشويش المعرفي التي ساعدت، ولا تزال، على تعزيز وحتى تبرير الممارسات التمييزية العنصرية المستمرة ضد الأميركيين من أصل أفريقي، وكل ما يقع تحت ما يسمّى فئة «الأجناس الأدنى».

وهذا ليس خللاً معرفياً، أو حتى خطأ أو جهلاً مرحلياً تم تجاوزه لاحقاً. فعلم الاجتماع الغربي، كـ«حقل معرفي»، كما يعرف من يعرف جيّداً، هو في الحقيقة أحد حرّاس القلعة وإحدى أدوات صناعة الأيديولوجيا، كغيره من العلوم الاجتماعية والإنسانية التي حوّلت الجامعات ودورها الأيديولوجي إلى جيش تفوق أهميته أحياناً وفعلاً الجيوش التقليدية. وليست القضية فقط هنا أننا نادراً ما نرى إضاءة، ولو بالحد الأدنى، على أهمية ودور العنصرية في صنع وتشكيل الحداثة الرأسمالية الغربية فقط وتشكيل النظام الرأسمالي العالمي – في الحقيقة لا توفّر الأدوات التحليلية ولا المفردات اللغوية التقليدية لعلم الاجتماع الأميركي السائد إمكانية كبيرة لكشف العلاقة التاريخية والعضوية بين الرأسمالية والصراعات الطبقية والعنصرية، وخصوصاً أن الحُكم الرأسمالي، كما سنرى، تَعزّزَ جداً من خلال عملية «التفاضل العرقي» والترتيب الهرمي للبروليتاريا في العالم، أو ما يسميه إيمانويل والرشتين «عرقنة العمل»، التي أسس لها أصلاً بعض علماء الاجتماع وعلم الإنسان. فمن استعمار فرجينيا في القرن السابع عشر إلى بريطانيا الفيكتورية وما بعدها، كانت العنصرية سلاحاً مهمّاً وأساسياً ولا غنى عنه في ترسانة نُخَب الدول الرأسمالية والاستعمارية، واستخدمت بفعّالية كبيرة لاحتواء الصراعات الطبقية وتشتيت الطبقة العاملة بهدف جعل النظام أكثر أمناً وحتى أكثر فعّالية لتراكم رأس المال.

قصة الرأسمالية السائدة في الغرب عموماً، وفي الولايات المتحدة تحديداً، مزوّرة لحد كبير باستثنائها الدور البنيوي للعنصرية. هذا التزوير، طبعاً لم يأته، ويستمر إلى الآن في حقول معرفية عديدة، حتى بعض تلك الحديثة منها، والتي يعتقد البعض أيضاً أن لها دوراً تحريرياً أيضاً، كنظريات «ما بعد الاستعمار»، مثلاً، التي تميل إلى التنظير عن المواجهة الحضارية بين الغرب (كلّه) ومستعمراته السابقة (كلّها) فتساهم في إخفاء تعددية العنصرية، بما في ذلك عرقنة واضطهاد أجزاء من البروليتاريا الأوروبية (الجنوب في الشمال، أو الشرق في الغرب، إن أردتم). هذا الفهم مهم في هذه الحالة، فرؤية وإدراك الدور البنيوي للعنصرية والطرق المتباينة والمختلفة التي تم بها دمج البروليتاريا في علاقات الهيمنة الرأسمالية ستكون لهما آثار مهمة وحاسمة على أي سياسة تحررية. فتجاهل الدور الكبير للعنصرية ماضياً وحاضراً (مثل الدعاية الليبرالية الخبيثة عن «سياسة عرقية عمياء») سيُبقي الظلم الناتج عن العنصرية التاريخية والمعاصرة، وسيعيد إنتاج وظيفته في تراكم رأس المال. حتى الآن، لم نسمع عن أي نهج (أو حتى شعار) بديل للأسف يشدد وبوضوح لا لبس فيه على ترابط مطالب العدالة الاقتصادية بمكافحة العنصرية. هكذا فقط يتم إزالة أي غموض عن الاختلافات المتأصلة في الجسم الجماعي للبروليتاريا والفقراء والأقليات من قبل الرأسمالية.

لكن مشكلة الأقليات (والحراك) في الولايات المتحدة ليست علم الاجتماع فقط، وليست حتى أجهزة الشرطة ولا عنصريتها (سواء كانت مؤسسة أم أفراداً) أيضاً – في الحقيقة ربما تكون أجهزة الدولة القمعية، من الشرطة إلى الحرس الوطني، وحتى المنظمات المدنية المسلحة، هي الأقل خطورة في المواجهة الدائرة الآن، كون دورها القمعي وانحيازاتها مكشوفة وواضحة. فالأقليات، والسود منهم تحديداً، يواجهون كل المنظومة الليبرالية الهائلة، وكل أدواتها الناعمة وعدتها من الديمقراطية الليبرالية إلى هوليوود، ومن فلاسفة اللاعنف إلى وسائل الإعلام ومراكز الأبحاث والجامعات، التي هيمنت على رواية الانتفاضة منذ البداية (وخدمها أوباما وأمثاله من طوايين الاقليات وأبناء النظام أكثر من غيرهم ربما)، وبدأت بإعادة توجيهها بطريقة سيحسدها عليها جداً جماعة «المجتمع المدني» في بلادنا (رغم أن نجاحهم للحق، نسبة إلى حجم الدعم الخارجي ورخص ثمنهم، كان لافتاً). فكل تلك البنية التحتية المؤسسية الهائلة لإنتاج الأيديولوجيا كانت في المعركة حتى قبل أن تبدأ، وترى أنه بإلقاء اللوم على ترامب وسياساته وأسلوبه فقط ليس وسيلة لتبرئة نفسها وغسل دورها التاريخي الفاعل جداً في الاضطهاد، بل فرصة (ليس لإنقاذ النظام، فلا خطر عليه حقاً) لاستخدام الحراك في الصراع بين النخب، وإعادة إنتاج ذات النظام العنصري بشكل أكثر كفاءة، وربما (ربما) أيضاً التخلّص من ترامب. أحد آخر استطلاعات الرأي الذي أجرته «أي بي سي» و«واشنطن بوست» يظهر تفوّق بايدن على ترامب (53% - 43%) بين المنتخبين المسجلين، وهو ما يضع بايدن (في هذا الوقت قبل الانتخابات، وبهذه النسبة الآن) في أفضل موقع لمرشح رئاسي يواجه الرئيس منذ عام 1930، حسب «سي أن أن»» (12). لكن، هل يملك بايدن الإجابة على أسئلة ومطالب المحتجين؟ أحد خطابات بايدن (ذي التاريخ العنصري الموثّق) في مجلس الشيوخ من عام 1993 يؤكد أنه يمكن أن يكون أكثر فظاظة حتى من ترامب» (13)، وهذا كان في الوقت نفسه الذي أطلقت فيه هيلاري كلينتون وصفها الشهير «المفترسين الفائقين» على الأطفال السود في سعيها لتمرير «قانون الجريمة» الذي تبنته إدارة زوجها وكانت الأقليات ضحاياه الأولى. لكنهم لا يرون أي وقاحة في طلبهم الصوت الأسود في الانتخابات دائماً بتحذير الأقليات أن البديل هو أمثال ترامب وباري غولدووتر» (14).

هكذا اخترعت بريطانيا العرق الأبيض

في أيّار عام 1607، «كانت ثلاثُ سفنٍ صغيرة تُبحر عبر خليج تشيسابيك، بين ميريلاند وفيرجينيا، باتجاه نهر جايمس، بحثاً عن مكان لإقامة المستوطنة الإنكليزيّة الأولى الدائمة في أميركا الشماليّة». لم يكن خيارُ شبهِ الجزيرة تلك، المعروفة اليوم باسم جايمس تاون، مثالياً على الإطلاق، لكونها منخفضةً ومليئة بالمستنقعات. لكنّ هذا السبب بالضبط («أيْ لكونها شبهَ جزيرة) هو الذي جعلها الخيارَ الأفضلَ للمستوطنين من الناحية الدفاعيّة في مواجهةِ أيّ «اعتداءات» محتملةٍ من السكّان الأصليين» (15). وفي هذا الخيار، كان المستوطنون الإنكليز يؤكّدون حقيقتين مهمّتين: الأولى، أنّ هذه البلاد ليست خاليةً من السكّان، وهو ما يفسّر إعطاءهم الهمّ الأمنيّ أولويّةً قصوى في تحديد المكان. والثانية، أنّ جايمس تاون ليست مجرّدَ جسر بحريّ آخر اقامته القوى الاستعماريّة في مناطق مختلفة من العالم ليكونَ قاعدةً متقدّمةً للحراسة، أو لحماية الطرق التجاريّة، بل هي مشروعٌ استعماريّ من نوع جديد، سيؤدّي إلى تأسيس الإمبراطوريّة الأميركيّة. فخلال أقل من ثلاثين عاماً على تلك الحادثة، تم تأسيس أربع مستوطنات إنكليزيّة أخرى: جزر سومرز (برمودا) عام 1612، مستعمرة بليموث (في ولاية ماساتشوستس) عام 1620، باربادوس (شرق الكاريبي) عام 1627، وميريلاند في عام 1634. لكن واجه المستعمرون الأوروبيون، بلا استثناء، معضلة مزدوجة، يقول ثيودور ألين، في المجلد الثاني من «اختراع العرق الأبيض»» (16)، هدّدت إمكانية نجاح المشروع الاستعماري برمّته: «كيفية تأمين إمدادات كافية من العمالة»، وأيضاً، وربما حتى أكثر أهمية في حالة إنكلترا تحديداً، «كيفية تأسيس واستدامة درجة معيّنة من السيطرة

> **مشكلة الحراك الاميركي الاساسية ان الهيمنة الايديولوجيّة للمنظومة الليبراليّة تنجح تدريجياً في وضع الناس أمام خيار ترامب أو بايدن**

الاجتماعية اللازمة لضمان التوسع السريع والمستمر لرأس المال من خلال استكشاف هذا العمل». لكن في كل من هذه القضايا، اختلفت الحالة الإنكليزية بطرق كان لها تأثير حاسم على أصل وشكل «مؤسسة العبودية» أوّلاً، والقمع العنصري الأبيض لاحقاً، تحديداً في القارة الأميركية الشمالية. ففيما واجهت كل الدول الاستعمارية معضلة توفير «العمالة الكافية» في المستعمرات حينها، لأسباب سياسية، اقتصادية، ديموغرافية (انتشار الطاعون 1596-1602 الذي قضى على أكثر من 10% من سكان إسبانيا.) وعسكرية (جزء مهم من الجيش الإسباني كان من المرتزقة، وكان عليهم بالإضافة إلى المشروع الاستعماري محاربة الدولة العثمانية ومنافسة الدول الأوروبية الأخرى، فيما اضطرت البرتغال بـ 1.4 مليون مواطن فقط للتنازل مؤقتاً عن البرازيل إلى هولندا لانشغالها في صراعات متعددة)، كانت بريطانيا وحدها تشهد فائضاً سكانياً كبيراً نتيجة ثلاثة عوامل على الأقل: تطور اقتصاد صناعة الملابس والصوف (وبالتالي تطور صناعة الرعي وتربية الماشية) المربح حينها، على حساب الزراعة ما دفع الكثير من الفلاحين إلى الفقر والبطالة، وزيادة عدد السكان بسبب بُعد الجزيرة عن الأمراض التي ضربت الدول الأخرى، وعودة عشرات آلاف الجنود من الخارج في عام 1546 في فترة هنري الثامن. وعدا عن كون الهجرة طريقة للتخلّص من الفائض السكاني وحل مشكلة البطالة، كانت بريطانيا الدولة الوحيدة القادرة على إرسال يد عاملة بيضاء إلى المستعمرات، لدرجة أن البحث عن الفلاحين العاطلين عن العمل والفقراء والمجرمين وأغراهم للهجرة ثم نقلهم إلى المستعمرات أصبحت صناعة مربحة مسؤولة حينها عن نمو مدن كليفربول ومانشستر التي كانت مراكز للهجرة. لكن اليد العاملة البريطانية لم تكن تكفي حتى للعمل في المستعمرات البريطانية لوحدها، فيما كان السكان الأصليون الذين تم استعبادهم وإجبارهم على العمل يتعرّضون للإبادة بسبب ظروف العمل والأمراض (تراجع عدد سكان المكسيك إلى ما يقارب الـ 14 مليوناً عام 1492، عام وصول كولومبوس، إلى مليون ومئة ألف فقط عام 1605، فيما تمّت إبادة سكان هايتي كلياً). كان الحل الذي اقترحه القسيس (والمؤرخ) برتولومي دي لا كاسس، ووافق عليه ملك إسبانيا في عام 1517 هو استقدام يد عاملة من أفريقيا. وفي عام 1517، أصدر الملك الإذن بتصدير 15 ألف مستعبد أفريقي إلى سان دومينغو. وهكذا «أطلق الكاهن والملك على العالم العبودية وتجارة العبيد الأميركية»، كما كتب سي.ل.ر. جايمس في «البعاقبة السود».

لكن صناعة «تجارة العبيد» المربحة جداً حينها، بالإضافة إلى الفائض الهائل للقيمة الذي أنتجته اليد العاملة الأفريقية المستعبدة في المستعمرات، لم يؤسسا للنظام الرأسمالي العالمي الذي نعيش فيه فقط ولم يجعلا من العنصرية عاملاً بنيوياً ومؤسساً للرأسمالية، بل وجعل من بريطانيا اللاعب الأهم فيه. فبريطانيا لم تكتف بتجارة العبيد واستخدامهم في زراعة وحصاد محاصيل السكر، التبغ، القطن، وغيرها في المستعمرات، بل وحتى كانت توفّر وتتبع المستعبدين لمنافسيها الأوروبيين لاحقاً لكن الدور البريطاني ربما الأهم، كان في الدور الكبير المتمثل بسياسات ومؤسسات الإخضاع والسيطرة الاجتماعية التي كانت تمتلك من الخبرة فيها بسبب تاريخ طويل من قمع تمردات العمال والفلاحين والفقراء أكثر من أي دولة استعمارية أخرى.

العامل الحاسم الذي ميّز بريطانيا عن غيرها من الدول الاستعمارية، وجود طبقة عاملة بيضاء من أصل إنكليزي في المستعمرة البريطانية في أميركا يمكن لها أن تتمرّد مع حليفها الأفريقي المستعبد والحر، كما حصل في ثورة ناثانيال بيكون في عام 1675 (رغم أنها كانت موجهة في البداية ضد السكان الأصليين، إلا أنها تطورت لاحقاً ضد الحاكم البريطاني، وانتهت بإحراق جايمس تاون). الرد الإنكليزي نتيجة للرعب الذي أصاب كبار الملاك البيض من احتمال تحالف العامل الأفريقي والأوروبي والثورة على النظام، كان بسلسلة من القوانين أصدرها مجلس ولاية فرجينيا على مدى أكثر من نصف قرن جعلت من سواد البشرة تدريجياً دلالة على الدونية (من خلال مراقبة السود المستعبدين والأحرار على حد سواء وقمعهم واستعبادهم جميعاً لاحقاً) وفي الوقت نفسه جعلت بياض البشرة مقياساً للتفوّق من خلال سلسلة من الامتيازات لم يكن أقلها قانون تحرير كل عمّال السخرة البيض. هكذا ضُمّمت فكرة العرق الأبيض لخلق طبقة عازلة من العمّال البيض، بين كبار الملاك والمستعبدين وعمّال السخرة، وتحوّلت تدريجياً مع مأسستها إلى الأيديولوجيا السائدة وحتى الرسمية.

خاتمة: باكس امريكانا؟

لكن مأسسة العنصرية وقوننتها تصاعدتا أكثر منذ كتابة الدستور الأميركي الذي بنيت على أساسه كل القوانين والمؤسسات اللاحقة (القسم التاسع من المادة الأولى، مثلاً، لم يُشرّعْ تجارة العبيد فقط، بل وحتى حظرَت على الحكومة الفيدرالية إلغاءها قبل عام 1808 وفقط بتفويض من الكونغرس، فيما المادة الرابعة، القسم الرابع، يفرض على الحكومة الفيدرالية المساهمة مع الولايات في قمع أي انتفاضات محتملة للمستعبدين). وحتى حين تمّت تجربة عكس بعض قرارات المحكمة العليا بعد سنين مثلاً، بكون ما تم التأسيس له بعد سنين واقعاً يصعب، وأحياناً يستحيل، تجاوزه، وهو ما يفسّر لماذا يتزايد الفصل العرقي في السكن في بعض المناطق الآن أكثر من السابق (كما حصل في قرار براون ضد مجلس التعليم في عام 1954 الذي عكس قرار بليسي ضد فيرغسون الذي شرع الفصل العنصري في عام 1896).

مشكلة الحراك الأميركي الأساسية أن الهيمنة الأيديولوجية للمنظومة الليبرالية تنجح تدريجياً في وضع الناس أمام خيار ترامب أو بايدن. ومن يعرف قليلاً من تاريخ بايدن في مجلس الشيوخ، ودوره في تمرير قوانين عنصرية تمسّ بحياة الأقليات يومياً، سيتاكد من دقة حكم الصحافي كريس هيدجز أن «ترامب ورث النظام، أما بايدن فقد بناه».

لكن يبقى أن الحراك مؤشر ضعف بنيوي للإمبراطورية وسيعجّل من الأفول، وخصوصاً بسبب العجز البنيوي للنظام عن حل مشكلة العنصرية، بغضّ النظر عن نتائجه المباشرة والقصيرة المدى. ما يجري اليوم في الولايات المتحدة وتعاطي الجهزة الدولة معه يكشفان لنا، ولو جزئياً، جواب السؤال الذي طرحه مرة إيمانويل والرشتين: «انتهى باكس أمريكانا. كشفت التحديات من فيتنام والبلقان إلى الشرق الأوسط و11 سبتمبر عن حدود التفوّق الأميركي. هل ستتعلّم الولايات المتحدة كيف تتأقلم مع الأفول بهدوء، أم أن المحافظين الأميركيين سيقاومون ذلك، وبالتالي سيجلّون التدهور التدريجي إلى سقوط سريع وخطير؟»» (17).

* الهوامش على الموقع الإلكتروني

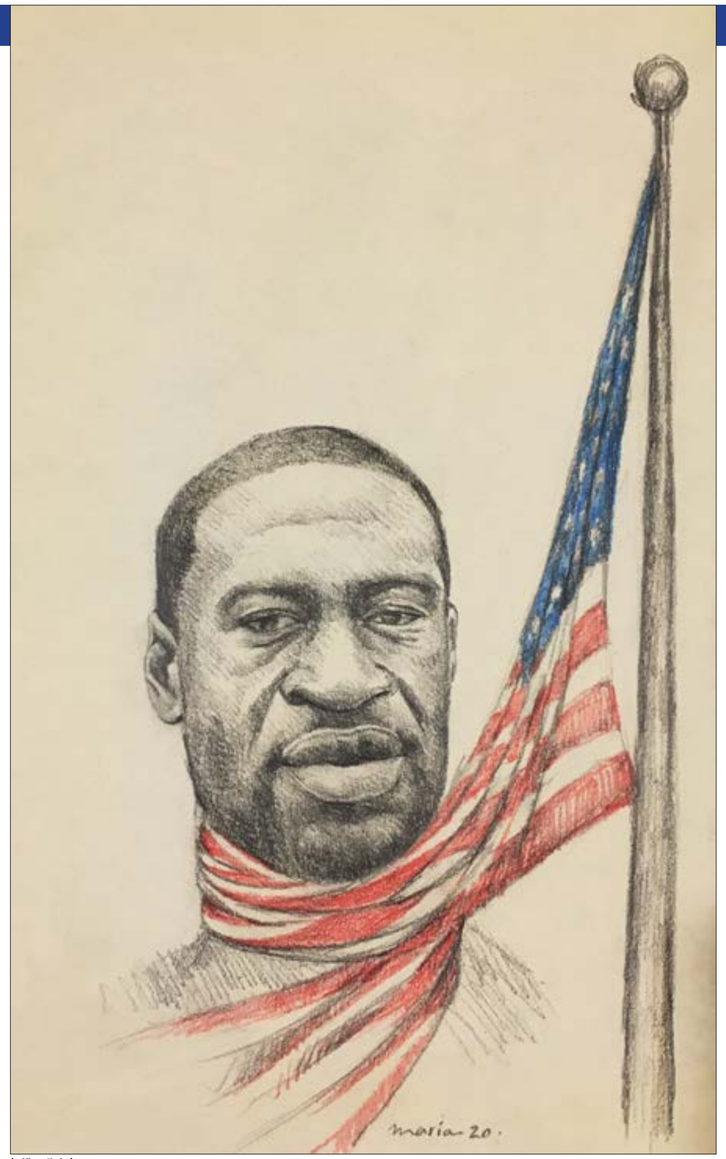

(ماريانصر الله)

الحدث

الانتفاضة الأكبر منذ مارتن لوثر كينغ:

روح الشعب متلهّفة للتغيير

ديترويت ـ **رانديٰ نورد**

شكّل مقتل جورج فلويد، إلى جانب ارتفاع نسب البطالة في الولايات المتحدة من جرّاء تدابير مكافحة الوباء، حافزاً لانتفاض ملايين الأميركيين في وجه وحشية الشرطة والعنصرية والإخفاقات الجارفة للإمبريالية.

لم تشهد الولايات المتحدة، منذ اغتيال مارتن لوثر كينغ، انتفاضةً بهذا الحجم. سلسلة الاحتجاجات لعام 1968 امتدّت لتغطّي أكثر من 100 مدينة أميركية، ولكنّها انتهت بمقتل أكثر من 40 شخصاً وجرح 2,500 آخرين، واعتقال ما يزيد على 15 ألف معتقل، فيما قُدّرت الأضرار التي لحقت بالممتلكات بأكثر من 12 مليون دولار.

الانتفاضة التي تشهدها البلاد اليوم، شملت كلّ مدن أميركا. وفي حين تصبح الاحتجاجات شائعة بعد عمليات القتل على أيدي الشرطة، إلا أنها تبقى غالباً خارج عدد من المدن الكبرى، وتتلاشى بعد يوم أو اثنين، ولا تُلحق أضراراً في الممتلكات، فضلاً عن أنها لا تنطوي على هذا المستوى المتزايد من القمع الوحشي الذي تمارسه الدولة راهناً. يبدو جلياً أن الاحتجاجات التي انطلقت على خلفية مقتل جورج فلويد مختلفة إلى حدٍّ كبير؛ فالريف الأميركي النائم، مثل: أوكلاهوما وكنساس وإيداهو، صنع انتفاضته على غرار مدن مثل نيويورك وديترويت ولوس أنجلس، حتى فاق حجم الحركة الاحتجاجية تلك التي قادها مارتن لوثر كينغ في ستينيات القرن العشرين بأربعة أضعاف، إذ انتشرت في أكثر من 400 مدينة وبلدة في جميع الولايات الخمسين، وبورتوريكو المحتلة.

لغاية كتابة هذه السطور، كان عدد المعتقلين، وفق الأرقام الرسمية، قد بلغ 9,300 شخص (يرجّح أن الرقم الفعلي أكبر بكثير)، فيما بلغ عدد القتلى أكثر من 24، ولكن مرّة أخرى، من المؤكد أن الرقم أعلى بكثير.

لماذا جورج فلويد، ولماذا الآن؟

رغم أنهم يشكّلون 13% (فقط) من سكان الولايات المتحدة، فإن احتمال وفاة الأميركيين السود على أيدي الشرطة، أعلى بـ2,5 مرّات. كذلك، فإن الشرطة لا تتعرّض لأيّ مساءلة في شأن عمليات القتل العنصرية بدم بارد: أقل من 1% من عناصر الشرطة الضالعين بعمليات قتل، متّهمون بارتكاب جريمة، أما المدانون فأقل من ذلك بكثير.

جورج فلويد لم يكن أوّل رجل أسود يُقتل على أيدي الشرطة، و(للأسف) لن يكون الأخير، ما لم تدفع الانتفاضة نوعاً من تغيير مؤسسي واسع النطاق. مع ذلك، فإن الطريقة الصاخبة لوفاته (توفي خنقاً بعدما جثا شرطي بركبته على رقبته لمدة ثماني دقائق، بسبب جريمة مزعومة متمثلة في تزوير شيك بقيمة 20 دولاراً)، يمكن النظر إليها كاستعارة للفشل الأوسع للرأسمالية، والذي تضاعف من جرّاء وباء «كوفيد-19».

فقدان الوظائف بسبب «كوفيد-19»

يقدّم صورة واضحة عن إخفاقات الرأسمالية والخصخصة

قدّم 42 مليون عامل أميركي طلبات إعانة بطالة منذ بدء انتشار الوباء، ما خلق أكبر زيادة في معدّل فقدان الوظائف منذ الكساد الكبير. وهذه مجرّد أرقام رسمية - ملايين آخرين، إما غير مؤهلين للحصول على إعانات البطالة، أو ببساطة لم يتمكّنوا من تقديم الطلبات بسبب الضغط على الخوادم المثقلة... وهناك نحو 30 مليون أميركي - وأنا منهم - لا يحصلون على أيّ شكل من أشكال التأمين الصحي، بسبب عقود من الخصخصة.

في ديترويت مثلاً، يفتقر الآف السكان الفقراء - معظمهم من السود - إلى وجود مياه جارية. هؤلاء لا يمكنهم حتى غسل أيديهم لمنع العدوى. كما تم إبعاد السكان السود المصابين بالفيروس عن المستشفيات في ميشيغان، ما جعل ديترويت مركز الوباء في الولاية. ويزداد الوضع سوءاً لدى معرفة أن الملايين من العمّال الأميركيين، غير قادرين على دفع إيجار مساكنهم أو مدفوعات الرهن العقاري. وقد بدأ التعليق الاختياري لعمليات الإخلاء بحسب الولاية، في فترة الإغلاق. وستعد المحاكم المحلية إلى موجة جديدة من عمليات الإخلاء.

حتى قبل الارتفاع غير المسبوق لنسب العاطلين من العمل من جراء الجائحة، عاش معظم العمّال الأميركيين من أجر إلى آخر، من دون مدخرات طارئة: 40% من هؤلاء لا يملكون 400 دولار مدخرات لتغطية نفقات الطوارئ، مثل إصلاح السيارات أو الفواتير الطبية.

مثّلت المساعدات الطارئة التي حصل عليها الأميركيون بقيمة 1,200 دولار للبالغين، صفعة لهؤلاء. بالنسبة إلى معظمهم، لا يكفي هذا المبلغ لتغطية إيجار شهر واحد في مدينة كبيرة، ناهيك عن الكهرباء والمياه ومحالّ البقالة وغيرها من الأساسيات.

> رأيتُ باقٍ عيني متظاهرين سلميين يتعرّضون للضرب على أيدي الشرطة بلا سبب

وبينما تعاني الطبقة العاملة من الإخفاقات الاقتصادية للرأسمالية، فإن العمّال السود يواجهونها في أسوأ أشكالها. سئم مواطنو هذا البلد من فشل الرأسمالية، وما خلفته من تفاوت متزايد. البطالة الواسعة الانتشار معطوفةً على مقتل جورج فلويد، خلقا عاصفة مثالية للأميركيين للانتفاض، لا يشبه أي شيء رأيناه في هذه الحياة.

القنابل والأسلحة الكيميائية والقنابل البدوية وبنادق القناصة وما إلى ذلك. هذه الأسلحة والمعدات العسكرية فقط؛ إذ غالباً ما تتدرّب قوات الشرطة الأميركية في الكيان الصهيوني، حيث تتعلّم التكتيكات العنيفة من الجيش الإسرائيلي. من الشائع أيضاً أن تستخدم الشرطة المحلية تكتيكات ومعدات المراقبة العسكرية، وخصوصاً ضدّ المنظّمين والناشطين المؤهّبين.

ليس مستغرباً أن تؤدي الانتفاضة الضخمة أيضاً، إلى عنف غير مسبوق برعاية الدولة ضدّ المتظاهرين. في المدن الأميركية، لم تستخدم الشرطة الغاز المسيّل للدموع والرصاص المطاطي لإنهاء أعمال الشغب، بل للتحريض على خط الجبهة. يقول منظّم مجتمع السود الأميركيين والاستراتيجي المناهض للعنصرية، ديسموند آبرامز، في حديث إلى «الأخبار»، إن «الحكومة الأميركية في حالة انهيار بطيء منذ أجيال، فهي تستثمر في السجون والشرطة للسيطرة على سكان يهانون ويذلّون داخل حدودها».

أموال الضرائب التي يتم ابتزازها من العمّال الأميركيين، لا تُصرف على الرعاية الصحية أو خلق فرص عمل مستدامة ولا تُصرف على التعليم أو موارد المجتمع، بل إنها تموّل الإمبريالية في الخارج والشرطة العسكرية هنا في الداخل. جرى تجهيز كلّ قسم شرطة محلّي يواجه المتظاهرين، بالمعدات العسكرية، مثل الدبابات والدروع وقاذفات

بدلاً من العمّال، اختارت الحكومة الفدرالية إنقاذ الشركات. وبورصة وول ستريت، بتريليونات الدولارات. ماذا يمكن لهؤلاء ان يفعلوا غير النزول إلى الشارع؟ (أ ف ب)

«قنابل الخارج تنفجر في الداخل» - مارتن لوثر كينغ

الإمبريالية في الخارج دائماً ما ترفع رأسها داخل الإمبراطورية، وخصوصاً في أوقات الاضطرابات أو الانهيار المحتمل.

لعقود، مثّل مجمع السجون الصناعي داخل الولايات المتحدة شكلاً من أشكال الرقّ المُقنّن. الشرطة المدجّجة بالسلاح تشبه جنود مشاة يخدمون على خط الجبهة. يقول منظّم مجتمع السود الأميركيين والاستراتيجي المناهض للعنصرية، ديسموند آبرامز، في حديث إلى «الأخبار»، إن «الحكومة الأميركية في حالة انهيار بطيء منذ أجيال، فهي تستثمر في السجون والشرطة للسيطرة على سكان يهانون ويذلّون داخل حدودها».

في مينيابوليس أيضاً، دمّر المتظاهرون متجر «تارغت». لكن هذا لم يكن مجرّد متجر. تم وضع هذا الهدف بشكل استراتيجي في مكان في المدينة حيث الدخل منخفض، بهدف اختبار تقنية التعرّف إلى الوجه والمراقبة التي تشترك فيها سلسلة البيع بالتجزئة مع الشرطة. لكن، رغم القمع الذي ترعاه الدولة، تستمر الاحتجاجات في جميع أنحاء الولايات المتحدة. من غير الواضح في هذه المرحلة كيف ستؤثر هذه الانتفاضة التاريخية في المسار الاجتماعي والاقتصادي الطويل المدى لأميركا. مع ذلك، فإن روح الشعب حيّة ومتلهّفة لتغيير مؤسّسي واسع النطاق.

عرقيّة عابرة للأطلسي

باريس ـ **يوسف بوسماح***

منذ حوالى عشرة أيام، تشهد الولايات المتحدة موجة احتجاجات قوية تترافق أحياناً مع أعمال شغب إثر قيام عناصر من شرطة مدينة مينيابوليس بقتل المواطن الأميركي الأسود جورج فلويد خنقاً. لقد رأى المشاهدون عبر العالم وقائع ما يشبه الانتفاضة في العديد من المدن الأميركية. لا يستطيع أي إنسان عاقل أن ينكر الطابع العنصري الشحون بالكراهية للسود لهذه الجريمة، التي ليست الأولى بكل تأكيد. جميعنا يذكر الجرائم التي سبقتها والتي قادت إلى إنشاء حركة «حياة السود مهمّة». في باريس وأنحاء فرنسا، كان للتطورات المرتبطة بقتل جورج فلويد أصداء واسعة. وبمبادرة من لجنة أداما تراوري، الشاب ذي الأصول الإفريقية الذي قتل هو الآخر خنقاً من قبل الشرطة الفرنسية، نظمت عدة تظاهرات في مدن كليون وليل (2000 متظاهر في كل منهما)، لكن التظاهرة الأكبر تمّت في باريس مع 30 ألف متظاهر أمام قصر العدل الجديد. غالبية المتظاهرين كانوا شباناً عرباً أو سوداً آتوا من الضواحي الفقيرة وانضم إليهم شبان بيض. كيف يمكن تفسير ذلك؟

لا شك أن الغضب العارم في المدن الأميركية الذي شاهده هؤلاء في نشرات الأخبار كان له دور في تحفيز تضامنهم وحتى تماهيهم مع إخوانهم الملوّنين عبر الأطلسي. لكن الأمر لا يقتصر على ذلك. فكراهية السود والعرب والغجر والمسلمين في فرنسا هي وقائع عنيدة يحاول السياسيون من مختلف الاتجاهات تجاهلها، لكنها سرعان ما تعود إلى واجهة الأحداث. يقرّ السياسيون بوجود مسألة اجتماعية وفوارق ضخمة في توزيع الثروة كما في بلدان أخرى من الكوكب، وحتى بخطر حزب عنصري مثل «التجمع الوطني»، لكنهم ينكرون حقيقة المسألة العرقية في فرنسا، الشبيهة بتلك القائمة في الولايات المتحدة! وتتعرض القوى والشخصيات التي تحذّر من مغبة التغاضي عن هذه العنصرية المستشرية لهجوم حاد واتهام بتبني قراءة منحازة «تسقط» على الواقع الفرنسي أحداثاً ومجريات «غريبة عنه».

لكن العنف البوليسي المدفوع بكراهية السود والعرب والغجر ليس اختراعاً، حتى ولو لم يؤدّ إلى عدد مماثل للضحايا الذين يسقطون في الولايات المتحدة. فزياد وبونا، وعلي زيري، ولحسين أيت أمغار، وأحمدو كومي، وبابا كار غايي، وأداما تراوري، وأنجلو غاران، هم جميعهم من الملوّنين الذين قتلوا رمياً بالرصاص أو خنقاً أو حتى دهساً بالسيارات من قبل الشرطة الفرنسية. وفي السنوات الـ 40 الأخيرة، وصل عدد ضحايا الشرطة من الملوّنين إلى معدل 15 شخصاً سنوياً، إضافة إلى عشرات الجرحى ومئات عمليات الاعتقال بحجة إهانة الشرطة. وإذا حصلت تحقيقات في هذه الجرائم، وفي العديد من الحالات لم تحصل، فإن المحاكمات الطويلة والمكلفة كثيراً ما تتمخّض عن تبرئة المتهمين بين عناصر الشرطة. عطفاً على ذلك، فإن وسائل الإعلام الرئيسية تهب عادة لنجدة الشرطة «الجمهورية»، ونادراً ما تعكس وجهة نظر عائلات الضحايا. ومع توالي التصريحات العنصرية للسياسيين ضد السكان من ذوي الأصول المهاجرة، المسؤولين بنظرهم عن كل شرور العالم، وتضييق الخناق عليهم من قبل الأجهزة الأمنية المختلفة، وبعضها معروف بشراسته المنقطعة النظير، تكاثر مكافحة الجريمة، وتكاثر عمليات التدقيق بالهويات في الأماكن العامة، التي من الممكن أن تتكرّر 3 أو 4 مرات يومياً مع أي شاب من الأحياء الشعبية، جندي من الحرس الوطني مجهزين بالذخيرة الحية في المدن الأميركية الرئيسة: عدد القوات الأميركية العاملة في سوريا وأفغانستان والعراق.

الشرطة والحرس الوطني لا يقودان هجوماً ضد المتظاهرين فحسب، بل يهاجمان أيضاً الصحافيين والمراقبين القانونيين. على الورق، تم اعتقال حوالى 20 صحافياً، فيما تعرّض 100 آخرون على الأقل للضرب أو قنابل الغاز المسيل للدموع، أو الرصاص المطاطي.

وفي مينيابوليس، أصيبت صحافية في وجهها بعيار مطاطي، وفقدت عينيها. ظهرت قصص مماثلة في ديترويت وواشنطن العاصمة والعديد من المدن الأميركية. وأثارت الانتفاضة أيضاً، الميليشيات اليمينية وجهات فاعلة أخرى يمكن أن تعمل كقوات شبه عسكرية، في حال فشل القمع الذي ترعاه الدولة في إنهاء الاحتجاجات. في ديترويت، أطلقت سيارة النار على المتظاهرين، ما أسفر عن مقتل مراهق. أما في مدن أخرى، فحاولت الشاحنات الصغيرة ومركبات أخرى دهس المتظاهرين السلميين.

هل ستقود الانتفاضة إلى تغيير مؤسّسي؟

في مينيابوليس، تمكّن المتظاهرون من تجاوز منطقة للشرطة، ما أجبر الضباط على الفرار. يدعو مجلس المدينة الآن إلى حل قسم الشرطة تماماً لصالح السلامة العامة. أنهت مدارس ومتنزهات مينيابوليس بالفعل علاقاتها المهنية مع قسم شرطة المدينة. وفي هذا الصدد، يمكن الاحتجاجات أن تكون بمثابة محفّز لإعادة هيكلة السلامة العامة في جميع أنحاء البلاد.

تظهر الاحتجاجات التاريخية أيضاً موجة من المشاعر المعادية للرأسمالية والنيوليبرالية. بعد اعتقال طاقم قناة «سي إن إن» في مينيابولس، دمّر المتظاهرون مقرّ القناة في أتلانتا، موجّهين رسالة تقول: «نحن نعلم أنك لست إلى جانبنا أيضاً». وفي أتلانتا أيضاً، قام المتظاهرون بتوبيخ مراسل «إن بي سي» لتصويرهم على أنهم إرهابيون.

في مينيابوليس أيضاً، دمّر المتظاهرون متجر «تارغت». لكن هذا لم يكن مجرّد متجر. تم وضع هذا الهدف بشكل استراتيجي في مكان في المدينة حيث الدخل منخفض، بهدف اختبار تقنية التعرّف إلى الوجه والمراقبة التي تشترك فيها سلسلة البيع بالتجزئة مع الشرطة. لكن، رغم القمع الذي ترعاه الدولة، تستمر الاحتجاجات في جميع أنحاء الولايات المتحدة. من غير الواضح في هذه المرحلة كيف ستؤثر هذه الانتفاضة التاريخية في المسار الاجتماعي والاقتصادي الطويل المدى لأميركا. مع ذلك، فإن روح الشعب حيّة ومتلهّفة لتغيير مؤسّسي واسع النطاق.

ترامب يستثمر في تراجع البطالة: «أمر رائع» في نظر جورج فلويد!

في الوقت الذي لا تزال فيه الأنظار متوجّهة صوب التظاهرات التي تهزّ البلاد، منذ وفاة الرجل الأسود جورج فلويد، خنقاً بعدما أوقفه شرطي أبيض قبل عشرة أيام، وجد الرئيس الأميركي دونالد ترامب عنصراً يعوّل عليه، علّه يخفّف من حدّة الانتقادات التي يتعرّض إليها، في الفترة الأخيرة، على مستويات عدّة.

أمس، «بشّر» ترامب الأميركيين بتراجع نسبة البطالة، خلال أيار/مايو، ما يعطيه متنفّساً، وسط ما يواجهه من حركة احتجاج تاريخية ضدّ العنصرية. وبمجرد نشر الأرقام، رحّب الرئيس الأميركي بهذا التراجع التاريخي، مشيداً عبر «تويتر» بـ«التقرير العظيم حول الوظائف». وشكر نفسه بالقول: «عمل رائع أيها الرئيس ترامب (أمزح ولكن ذلك صحيح)». وتراجعت نسبة البطالة إلى 13,3%، وفق المعطيات التي نشرتها وزارة العمل، وذلك بعدما كان المحلّلون الأكثر تشاؤماً قد توقّعوا أن تصل إلى 20 في المئة بسبب فيروس «كورونا» المستجد.

ترامب واصل تبشير الأميركيين، فعقد مؤتمراً صحافياً في البيت الأبيض، أكد فيه أن بلاده «تجاوزت إلى حدّ كبير» وباء «كوفيد - 19»، الذي لا يزال يودي بحياة حوالى ألف شخص يومياً في الولايات المتحدة.

وتعليقاً على التراجع المفاجئ لمعدّل البطالة، في أيار/مايو، تفاخر مجدّداً «بقوّة» الاقتصاد الأميركي. وقال: «هذه القوة أتاحت لنا تجاوز هذا الوباء الفظيع، لقد تجاوزناه إلى حدّ كبير». وأضاف: «اتخذنا كل القرارات التي كان يجب اتخاذها»، وذلك في الوقت الذي كان يتعرّض فيه لانتقادات بسبب إدارته للأزمة الصحية.

وفي محاولة لحرف الأنظار عن التُّهم التي تتعرّض لها إدارته بتعزيز الانقسام والعنصرية، ذهب ترامب إلى حدّ القول إنّ أرقام التوظيف الإيجابية تمثّل «أمراً رائعاً» بالنسبة إلى جورج فلويد. وأضاف: «أمل أن ينظر جورج إليها الآن ويقول هذا أمر رائع لبلدنا». إلّا أن الرئيس الأميركي لم يغفل العودة إلى نغمة مطالبة حكّام الولايات بـ«السيطرة على الشارع»، وذلك بينما تبنّى موقفاً متشدداً تجاه المتظاهرين، معتبراً أنّ بينهم الكثير من «الأشخاص السيّئين». وقال: «أقترح على بعض هؤلاء الحكّام الذين يبالغون في الفخر، لا تغتروا. أنجزوا المهمة. سيكون عملكم أفضل كثيراً في النهاية باستدعاء الحرس الوطني». وأضاف: «عليكم أن تسيطروا على الشوارع. ما كان ينبغي لكم أن تدعوا هذا يحدث».

وقد جاءت تصريحات ترامب فيما رفعت مجموعات في المجتمع المدني الأميركي، دعوى ضدّه، بعدما أطلقت قوات الأمن رذاذ الفلفل وقنابل الغاز لتفريق المتظاهرين السلميين خارج البيت الأبيض، قبل أن يتوجّه الرئيس إلى كنيسة لالتقاط صور له مطلع الأسبوع.

في هذه الأثناء، شارك المئات في مينيابوليس في مراسم تابين جورج فلويد، حيث تعهّد الناشط من أجل الحقوق المدنية آل شاربتون، بأنّ الاحتجاجات ستتواصل إلى أن «نغيّر نظام العدالة بأكمله». وبعد المراسم، خرجت تظاهرات اتّسمت معظمها بالسلمية في مدن عدّة. ففي نيويورك، احتشد الآلاف على جسر بروكلين، بينما تمّ رفع حظر التجوّل في واشنطن ولوس أنجلوس، وتراجع عدد الحشود. وبالتزامن، مثل ثلاثة من عناصر الشرطة الأربعة الذين أوقفوا فلويد بتهمة استخدام ورقة نقدية مزوّرة أمام المحكمة للمرّة الأولى بتهم التواطؤ في موته. وتمّ تحديد كفالة بقيمة مليون دولار لكل منهم. أما الشرطي الرابع، شوفين، فوجّهت إليه تهمة بالقتل من الدرجة الثانية، بينما مثل أمام القاضي الأسبوع الماضي.

أكد ترامب أن بلاده «تجاوزت إلى حدّ كبير» وباء «كوفيد ـ 19» (أ ف ب)

> بعد تابين فلويد خرجت تظاهرات اتّسمت معظمها بالسلمية في مدن عدّة

سياسياً، كشفت السناتورة الجمهورية عن الاسكا ليزا موركوسكي، أنها «تواجه صعوبة» في تحديد إن كان عليها دعم إعادة انتخاب مرشح حزبها (ترامب)، في انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر. وقالت موركوسكي إن تردّدها جاء بعد تصريحات جيمس ماتيس، وزير الدفاع السابق في عهد ترامب، والذي انتقد قبل يوم الرئيس «الذي يحاول تقسيمنا». وأفادت في حديثها إلى الصحافيين بالقول: «أعتقد بأنّ تصريحات الجنرال ماتيس كانت حقيقية وصادقة وضرورية ومستحقة».

وتشكّل تصريحاتها تحوّلاً كبيراً في المواقف حيال ترامب ضمن معسكر الجمهوريين، الذي يقي متماسكاً على مدى أزمات عدة، بما في ذلك محاكمة عزله وتهديده حالياً باستخدام القوة العسكرية بحق المحتجين.

(رويترز، أ ف ب)

تقرير

قاآني في بغداد: طهران تدعم «سيادة العراق»

بغداد ـ **الأخبار**

قائد «قوّة القدس» في الحرس الثوري الإيراني، إسماعيل قاآني، في العاصمة العراقيّة بغداد. الزيارة التي استمرّت ليومين، هي الثانية للرجل منذ أن عُيّن خليفةً للجنرال قاسم سليماني. لم تكن زيارة استثنائيّة؛ هادئة وأقرب لأن تكون «تأكيد المؤكّد»، والاستماع إلى هواجس الحلفاء والتخفيف منها.

لقاءات قاآني كانت بعيدة عن الأضواء. تمسّك الجنرال الإيراني بثوابت سبق وأن أعلن عنها في زيارته الماضية. في الشكل والمضمون، حملت دلالات عدّة، خاصّة أنه كان جزءاً من الوفد الإيراني برئاسة وزير الطاقة رضا إردكانيان، والذي التقى كبار المسؤولين العراقيين. دخل البلاد بتأشيرة رسمية، والتقى بمسؤولي «البيت السياسي الشيعي». استمع إلى وجهة نظرهم إزاء الأداء الإيراني في «بلاد الرافدين»، لكنّه وفي لقائه مع قادة «هيئة الحشد الشعبي»، أجاب على أكثر الأسئلة «إشكاليّةً»: ماذا تريد طهران من «الحشد» تحديداً؟ وخصوصاً بُعيد الاتهامات التي وجّهت إلى قيادة «القدس» بأنها تسعى لأن يكون «الحشد»: «حشداً ولائياً/ إيرانيّاً» (نسبة إلى المعتقدين بنظرية «ولاية الفقيه»).

في لقائه مع قيادة «الحشد»، أكّد قاآني أن «الحشد حشدُ عراقي»، مكرّراً ما قاله في زيارته الأولى. لم يصعّد أبداً بل دعا إلى الهدوء وحل المعضلات بعقل بارد، مشدّداً – غير مرّة – على أن «الحشد» هو «حشد المرجعية الدينية العليا»، وأن طهران تدعم هذا «الحشد» وترفض أن تزجّ بنفسها في الخلافات الداخليّة، بل تسعى إلى تقريب وجهات النظر إن طُلب منها. حديث قاآني «المعنوي» ومن ضمنه تأكيده على دور «الحشد» البطولي لم يخلُ من التطرّق أيضاً إلى المشهد السياسي، والتأكيد مرّة أخرى على رفض إيران (في سياق مطالعة قدّمها لأداء المعنيين في طهران للملف العراقي) التدخّل بأي شكل من الأشكال في الشؤون العراقية كما كان سابقاً، مستشهداً بالقول إن «رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، ليس خياراً إيرانياً ولم تفرضه طهران على حلفائها العراقيين. هو خيار عراقي اختارته القوى السياسية العراقية، وهي من تتحمّل مسؤولية ذلك»، مضيفاً أن «نجاحه سيصبّ حتماً في مصلحة البلدين، وإن فشل ستكون لذلك نتائج عكسيّة».

من المرجّح أن يصوّت البرلمان العراقي في الساعات المقبلة، على مرشّحي الوزارات الشاغرة في حكومة الكاظمي (أ ف ب)

الزيارة، في الشكل والمضمون والتوقيت، أثارت مجموعة من الأسئلة، لكنّها أكّدت على جملة معطيات:

> **أكّد خليفة سليماني أن «الحشد حشدٌ عراقي» مكرّراً ما قاله في زيارته الأولى**

1- جاءت قبل أيّام من تصويت البرلمان على الحقائب الشاغرة في حكومة الكاظمي، ما يدلّ على دعم طهران لها، وتأكيدها على ضرورة استكمالها.

2- جاءت قبل أيّام، أيضاً، من انطلاق الحوار العراقي – الأميركي الاستراتيجي، في ظلّ ترحيب إيراني مبطّن، مقرون بالإعلان عن نتائجه النهائية. هنا، ثمّة من يؤكّد أن الإيرانيين متمسّكون بخيار طرد قوات الاحتلال الأميركي من منطقة غرب آسيا، إما بالسياسة وإما بالميدان، وإن كان الخيار الأوّل حالياً هو الأنجع، والمأمول به واجب ونتائجه تحدّد الخيارات البديلة.

3- جاءت الزيارة، في المضمون، بأن «فيلق القدس»، وإن كان رأسه هو الراجح في الملف العراقي، إلا أنّه جزء لا يتجزّأ من منظومة الحكم الإيرانيّة، وهذا ما يرتّب قنوات اتصال جديدة قد تظهر في المرحلة المقبلة، من شأنها أن تكون «ضابطة إيقاع» العلاقة بين طهران وبغداد.

4- حملت الزيارة تأكيد الجانب الإيراني على ضرورة الاستماع لهواجس العراقيين، والعمل على تهدئتها، ورفض طهران الدخول في السجالات العراقيّة، بل الاكتفاء بدور «المصلح»، والعمل على تقريب وجهات النظر في لحظات الخلاف.

يحاول البعض أن يقارن الأسلوب المتبع بين سليماني وقاآني، علماً أن جدول الأعمال الحالي، نظراً إلى الظروف المحيطة في العراق والمنطقة، يفرض أسلوب عمل مغايراً لما سبق وأن اتبع منذ عام 2003 (الغزو الأميركي)، بتعبير أكثر من مصدر سياسي مطّلع.

في غضون ذلك، من المرجّح أن يصوّت البرلمان العراقي في الساعات المقبلة، على مرشّحي الوزارات الشاغرة في حكومة الكاظمي، بعدما أرسل الأخير أسماء المرشحين إلى رئيس البرلمان محمد الحلبوسي. وكان لافتاً أن «البيت الكردي» أصرّ على ترشيح وزير المالية السابق فؤاد حسين، لمنصب وزير الخارجية، وسط ترجيحات بأن يفشل في نيل الثقة، وخصوصاً أن معظم الكتل النيابيّة ترفض توزير أي وجه مجرّب. كذلك، ضمّت قائمة المرشّحين كلّاً من إحسان عبد الجبار لحقيبة النفط، وحسن ناظم لحقيبة الثقافة، وإيفان فائق لحقيبة الهجرة والمهجّرين، وعلاء أحمد حسن عبيد لوزارة التجارة، ومحمد كريم جاسم صالح لوزارة الزراعة، وسالار عبد الستار محمد لوزارة العدل.

إيران

صفقة تبادل مع واشنطن: المفاوضات تقترب؟

زكريا أبو سليسك

منذ انتصار الثورة الإيرانية، لم تسترح سويسرا، بصفتها راعية لمصالح واشنطن في طهران، من أعباء الوساطة بين الطرفين، إلا في فترة وجيزة عندما أوجدت المفاوضات النووية مساحة للحديث المباشر بين وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، ونظيره الأميركي الأسبق جون كيري. وقد أثمرت الجهود السويسرية، أول من أمس، إنجاز صفقة تبادل للسجناء بين الطرفين، أفرجت بموجبها إيران عن البحّار الأميركي مايكل وايت، فيما أطلقت الولايات المتحدة سراح الطبيب الإيراني الأميركي مجيد طاهري، المقيم منذ 33 عاماً في ولاية فلوريدا الأميركية.

نجاح سويسرا لم يكن الأوّل على صعيد محاولات من عدّة أطراف لردم الفجوة المتفاقمة بين الطرفين، إذ أثمرت جهود سابقة لها في إنجاز صفقة لتبادل السجناء أواخر العام الماضي. أسّس ذلك في حينه لبناء أوّل مدماك في جدار الثقة الذي عاد الرئيس الأميركي دونالد ترامب، بإجراءاته، ليُسقط أساساته. «ثقة» كانت بُنيت بذات الطريقة في عهد سلفه باراك أوباما، حين دخلت سلطنة عُمان على خط الوساطة عام 2009، وأنجزت في خضمّ تصعيد متبادل في حينه صفقة قادت إلى إفراج إيران عن ثلاثة أميركيين اعتقلتهم على حدودها مع كردستان العراق، فيما دفعت واشنطن لطهران في هذه الصفقة مليون ونصف مليون دولار، حمل هذا المبلغ الوسيط العُماني ناصر الإسماعيلي بطائرته إلى طهران.

على ضوء ما سبق، فإن كل صفقة تبادل تُعيد إلى الأذهان المراقبين ذلك المسار الذي أفضى بعد ست سنوات لتوقيع الاتفاق النووي. كما أن ترامب لم يتوان بعد الصفقة الأخيرة، والتي سبقتها في كانون الأول/ ديسمبر الماضي، عن التأكيد أن «ما جرى يظهر إمكانية الوصول إلى اتفاق»، وهو الأمر الذي سارع ظريف للردّ عليه بالقول: «(إننا) لم نترك الطاولة. فريقك الذي أطلق النار بغباء على الاتفاق النووي هو الذي دعاك للانسحاب منه. نحن لا نزال على طاولة الاتفاق النووي، والأمر متروك لك لتقرّر متى تريد إصلاح الخطأ».

ترى طهران، وفق الباحث الإيراني صابر غل عنبري، أن «إصلاح الخطأ يتمثّل في عودة أميركا عن العقوبات»، موضحاً لـ«الأخبار» أن «طهران ليس لديها استعداد للقبول بأقل من ذلك». ولقطع الشك باليقين، جزم الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني علي شمخاني، بأنه «لن يكون هناك أي مفاوضات مع الإدارة الأميركية»، مشيراً إلى أن «تبادل السجناء لم يأت نتيجة لمباحثات». علاوة على ما سلف، يستذكر صابر غل عنبري تفاصيل المواجهة التي اشتدّت بعد نجاح حادثة التبادل الأولى، ووصلت إلى ذروتها باغتيال الجنرال قاسم سليماني، ليخلص إلى أن «الظروف الحالية، بما فيها محاولات أميركا لتمديد حظر التسلح الدولي المفروض على إيران والتوتر الذي حدث في المياه الخليجية قبل أسابيع، لا تؤشّر إلى إمكانية حدوث اتفاق، حتى وإن تمكّنوا من إتمام صفقة لتبادل السجناء».

الجدير ذكره أن ترامب، وفي معرض توجيه الشكر إلى إيران لإبرام الصفقة، دعاها إلى عدم الانتظار لما بعد الانتخابات الأميركية. وبعد توعّده بالفوز، قال: «عقد صفقة أفضل الآن». لكنّ في طهران ثمّة من لديه تقدير مختلف، استناداً إلى أزمتَي الجائحة وتداعياتها الاقتصادية والاحتجاجات القائمة الآن ضد العنصرية. وهو أمر يدفع، وفق هذه الرؤية، إلى استعجال ترامب اتفاقاً مع إيران ليستخدمه لصالحه في البازار الانتخابي. لكن، وفق ما يتردّد في طهران، فإن إيران قد تفضّل الثاني لانتظار مصير الانتخابات أملاً في مجيء إدارة ديمقراطية.

◄ إعلانات رسمية ►

اعلان
من أمانة السجل العقاري في صور
طلب رضا علي بري بوكالته عن نوال محمد المحمود لورثها محمد حسن المحمود سند بدل ضائع للعقار 321 الحلوسية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

اعلان
صادر عن محكمة جزين المدنية بتاريخ 2019/7/8 تقدم السيد جان نعمان عقل بواسطة وكيله المحامي اميل رزوق إلى قلم هذه المحكمة بإستدعاء سجل بالرقم 2019/156 يرمي إلى ثبوت وفاة وحصر أسعد طانيوس عقل فعلى كل صاحب مصلحة لديه أي إعتراض أو ملاحظات فليتقدم بها إلى قلم المحكمة خلال مهلة عشرين يوماً من تاريخ النشر.
رئيس القلم
بتريسيا بو راشد

انتخابات
قررت نقابة السائقين العموميين في الجنوب إجراء انتخابات تكميلية وذلك نهار الأحد الواقع في 2020/6/28 في مركز النقابة في مدينة صور – ساحة البوابة واذا لم يكتمل النصاب يصار الى إعادة الانتخابات نهار الأحد الواقع في 2020/7/5 في مقر النقابة في مدينة صور – ساحة البوابة.
رئيس النقابة
قاسم محمد شبلي

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه طلب نضال وهيب اسماعيل لمورثه وهيب حسن اسماعيل سند تمليك بدل ضائع للعقار 10/416 سرحمول.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

◄ مبوب ►

◄ للبيع ►

أرض في شويت (بين عاليه و بعبدا) كاشفة بحراً وجبلاً، موقع مميز حوالي الـ 12.000، سعر مدروس وشيك مصرفي مقبول. دون وسيط. 03.357374

ليبيا

«الوفاق» تطبق على الغرب: رهانات الحرب والسلم

اعلنت حكومة «الوفاق الوطني» الليبية أمس الجمعة سيطرتها على مدينة ترهونة، مركز عمليات قوات المشير خليفة حفتر في غرب البلاد. وذلك عقب يوم من وضع يدها على مدينة طرابلس وضواحيها. تأتي هذه التطورات فيما تعمل الامم المتحدة على استئناف الحوارات العسكرية بين طرفي النزاع على امل الوصول إلى هدنة تبدو قابلة للتحقق حالياً. لكن هذه الأخيرة قد تتحوّل إلى فسحة زمنية تسمح لروسيا وتركيا بنقل تدخّلهما في ليبيا إلى مستوى آخر

نجاح محمد

خلال ثلاثة أيام من القتال، حقّقت قوات حكومة «الوفاق الوطني» ما عجزت عنه طوال أكثر من عام، إذ سيطرت في جنوب طرابلس على جميع المعسكرات التي كانت بحوزة قوات المشير خليفة حفتر، ومطار طرابلس الدولي (خرج عن الخدمة منذ حرب 2014) ثم مدينة ترهونة. هذه الانتصارات لصالح «الوفاق» ليست إلا حلقة مكمّلة في سلسلة المكاسب التي حقّقتها على مدى الشهرين الأخيرين، بداية من سيطرتها على الشريط الساحلي الممتد إلى الحدود مع تونس ثم قاعدة الوطية الجوية وما تبعها من بلدات.

السيطرة على ترهونة تحظى بأهمية كبيرة. مثّلت المدينة بؤرة للقلاقل حتى قبل انطلاق هجوم قوات حفتر على العاصمة، إذ سبقت أن شنّت حرباً على طرابلس قبل عامين بالضبط. لم تستغرق العملية أكثر من يوم، ففي الليلة الفاصلة بين الخميس والجمعة، انسحبت عائلات القياديين في «اللواء التاسع»، أكبر قوّة في ترهونة، إلى مدينة بني وليد، ثم تراجعت التشكيلات العسكرية نحو الجفرة وسط البلاد وكذلك جنوباً، مخلّفة وفق قيادات من «الوفاق» طائرات عمودية ومسيّرة وعتاداً ثقيلاً يشمل دبابات.

استسلام ترهونة بلا قتال لم يكن متوقّعاً، بالنظر إلى طبيعة من يسيّرها وتضاريسها الجغرافية الجبليّة التي تعطيها حصانة طبيعية. لكن ذلك لا يمثّل أيضاً حالة شاذة، فقد سبق أن سيطر طرفا النزاع على عدة مدن بلا قتال، إما بتسليمها أو بتغيير ولاءات قياداتها. حالياً، يستعد مجلس بلدي جديد شكّلته «الوفاق» قبل يوم لإدارة المدينة.

توازياً مع التطورات العسكرية، يجري حراك سياسي دولي. تحدّث وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو، هاتفياً مع ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد، ليلاً، وأكد على «الحاجة إلى وقف إطلاق النار في ليبيا والعودة إلى المفاوضات السياسية».

يوم الخميس، توجّه المشير خليفة حفتر إلى القاهرة لمناقشة الخطوات المقبلة، ويبدو من تصريحات السفير الأميركي لدى ليبيا ريتشارد نورلاند، أن مصر «مستعدة للعب دور بنّاء» بعد «إدراكها أن المقاربة (التي تبنتها) قد فشلت».

في اليوم ذاته، توجه رئيس حكومة «الوفاق الوطني» فائز السراج، إلى أنقرة للقاء الرئيس التركي رجب طيب إردوغان. بدا الرجل متحمّساً، حيث تحدّث عن عزمهم «السيطرة على كامل البلاد»، لكن لا يبدو ذلك قابلاً للتطبيق، حالياً على الأقل. يتوقع الحديث مع الفريق الممثل لحكومة «الوفاق» في اليومين اللاحقين، على أن يتم الانتقال لاحقاً إلى مفاوضات مباشرة بين الطرفين.

لكن ليست هذه المرّة الأولى التي تجري حوارات ضمن هذه الآلية، وقد قادت آخر مرّة إلى هدنة مؤقتة من دون اتفاق مكتوب تلاها تصعيد عسكري أكبر. قد يتكرّر السيناريو ذاته هذه المرّة، مع نتائج أكثر تدميراً ودور أبرز لتركيا وروسيا.

وفق معطيات نشرتها القيادة العسكرية الأميركية في أفريقيا نهاية الشهر الماضي، وضعت روسيا طائرات قتالية متطوّرة في قاعدة الجُفرة وسط ليبيا وفي مواقع أخرى في شرقها، لكن قال السفير الأميركي الخميس إنه لم يتم استعمالها بعد. بالمثل، أظهرت صور لأقمار اصطناعية أنّ تركيا تعمل على تجهيز مهبط في قاعدة الوطية ليصير صالحاً لاستقبال طائرات «إف 16».

> **ما حصل تطوّر كبير لكنّه غير حاسم في تحديد وجهة البلاد**

عملياً، صارت حكومة «الوفاق الوطني» تسيطر على أغلب غرب ليبيا، فيما تعمل قوات المشير حفتر على تعزيز دفاعاتها وسط البلاد خاصة، مع حضور روسي مكثّف عبر «فاغنر». يعني ذلك أن البلاد صارت مقسّمة بين النفوذ التركي والروسي بشكل أكثر وضوحاً وحدّة، ما قد يسمح بإحياء التقارب بينهما وتوقيع اتفاق لوقف إطلاق النار أجهضه مطلع العام تراجع حفتر في اللحظات الأخيرة.

لكن، قد يتحوّل وقف مؤقت للأعمال العدائية إلى فسحة لترتيب الأوراق وبدء مواجهة جديدة، وذلك قد يأخذ أعواماً تحت رداء الهدوء الحذر والتفاوض، كما حصل سابقاً بين عامي 2014 و2019. ما حصل تطوّر كبير، لكنّه غير حاسم في تحديد وجهة البلاد، وقد لا يكون كافياً لكبح المشاريع الإقليمية حول مستقبلها، خاصة لناحية الإمارات، المموّل الرئيسي لأنشطة حفتر، والتي لن تقبل بسهولة بالتخلّي عن أعوام من الجهود لصالح حل سياسي يُبقي من تعتبرهم إسلاميين في المشهد الليبي.

استراحة

كلمات متقاطعة 3465

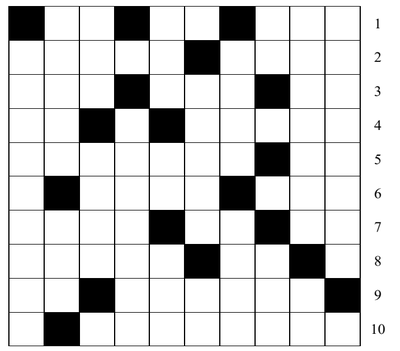

أفقيا
1- مجرى ماء – خبز يابس – حُب – 2- أبيض باللغة الأجنبية – من رجال التوراة الصفقة، دعاها إلى عدم الانتظار لما بعد الانتخابات الأميركية. وبعد توعّده بالفوز، قال: «عقد صفقة أفضل الآن». لكنّ في طهران ثمّة من لديه تقدير مختلف، استناداً إلى أزمتَي الجائحة وتداعياتها الاقتصادية والاحتجاجات القائمة الآن ضد العنصرية. وهو أمر يدفع، وفق هذه الرؤية، إلى استعجال ترامب اتفاقاً مع إيران ليستخدمه لصالحه في البازار الانتخابي. لكن، وفق ما يتردّد في طهران، فإن إيران قد تفضّل الثاني لانتظار مصير الانتخابات أملاً في مجيء إدارة ديمقراطية.
3- شرى – رفع صوته – فلوس ودراهم – 4- ابن الأسد – إله – 5- دق وفتّ وسحق – نسبة الى مواطن تابع لجزيرة فرنسية في المتوسط – 6- فزع وخوف – أغنية للفنان مارسيل خليفة – 7- وعاء الخمر – ضمير منفصل – لعبة حربية استراتيجية تتكوّن من لوحة رُسم عليها خريطة قديمة للعالم – 8- تعب وشقاء – والدنا – 9- مرفأ إيطالي في الأدرياتيك أهم منفذ بحري للنمسا قديماً – يجري في العروق – 10- أغنية للسيدة أم كلثوم

عمودياً
1- ممثلة ومطربة لبنانية قديرة راحلة – 2- عائلة فيلسوف اسكتلندي راحل – شاي بالأجنبية – 3- سقي – أعاد الكلام مرّة بعد أخرى – 4- نبات شبيه التبغ يدخن ورقه بالنارجيلة – تقدّم في المناسبات والأعياد – 5- زجاجي شفاف – خاصتها بالأجنبية – 6- مغنية وكاتبة أغاني وممثلة أميركية مشهورة – نوتة موسيقية – قارب الخطو في غضب – 7- صفة الحصول على مكاسب من التجارة – 8- رسوم في البدن بواسطة غرز الإبر – الإسم الأول للاعب كرة قدم عالمي من ساحل العاج يلعب مع فريق مانشستر سيتي ومنتخب بلاده – 9- بلدك ومسكنك – صك دين – 10- أديب فرنسي راحل حائز على جائزة نوبل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1-فرنسا – رياق – 2- وكر – مستعرب – 3- يسرا – ياقة – 4- أكيد – حلق – 5- سير – أرال – 6- مد – فضاء – قضّ – 7- شوح – أم – يتخ – 8- تر – نبّ – ساحر – 9- رادو – مبراة – 10- عمر الخيام

عمودياً
1-فو – المشترع – 2- ركيك – دورام – 3- نرسيس – در – 4- رديف – نوا – 5- امّا – رضاب – 6- أمّ – مخ – 7- رئيلاء – سبي – 8- يعاقر – يارا – 9- أرق – إقتحام – 10- قبّة الصخرة

sudoku 3465

8		1	6			3		
			8	9	7			
	6					2	9	8
1			5	6	8			
3	2						8	4
			2	3	4			1
2	5	7						9
			9	1	5			
		4			3	8		6

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3464

5	8	9	7	6	2	1	4	3
2	7	6	1	4	3	8	5	9
1	4	3	9	8	5	6	7	2
7	9	1	3	2	8	5	6	4
4	3	5	6	1	9	2	8	7
6	2	8	4	5	7	3	9	1
9	6	2	5	3	4	7	1	8
3	5	4	8	7	1	9	2	6
8	1	7	2	9	6	4	3	5

مشاهير 3465

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

فيلسوف ألماني (1724-1804) أحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية. وضع العقل في صلب الوجود ومحوره. له «نقد العقل المحض»
1+5+7+6+5+8+11 = دولة عربية ■ 2+3+6+4+7+9 = عاصمة الفيليبين ■ 10+5 = عاصفة بحرية

حلّه الشبكة الماضية: **فردينان توتله**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 6 حزيران 2020 العدد 4067

صورة وخبر

اكتملت الاستعدادات في قصر فرساي بالقرب من باريس استعداداً لاستقبال الزوار بعد أكثر من شهرين من الإقفال على خلفية تفشّي وباء كورونا. القصر الأيقوني الذي يعدّ جوهرة فرنسا السياحية مع استقطابه سنوياً حوالى عشرة ملايين سائح، يعيد فتح أبوابه اليوم في غياب السيّاح الآسيويين والأميركيين الذين يشكّلون حوالى 30 في المئة من زوّاره (ستيفاني دو ساكوتان ـ أف ب)

«متحضّرات» رندة الشهال لم يعد «ممنوعاً»!

أسهمت رندة الشهال (1953-2008) مع مجايليها، في تشكيل وعي سينمائي جديد، مقدمةً أعمالاً طبعت بداية التجارب اللبنانية في ميدان سينما الواقع. «نادي لكل الناس» يوجّه تحية إلى المخرجة اللبنانية الراحلة، من خلال استعادة إحدى تجاربها التي مُنعت في لبنان. إنّه فيلم «متحضرات» (1999 ـ تأليف وإخراج رندة الشهال) الذي عُرض في مهرجانات دولية عدة، لكنّ الرقابة اللبنانية أصرّت على اقتطاع 45 دقيقة منه بحجة «الألفاظ النابية والخروج عما يحتمله الذوق العام». إلّا أن الشهال رفضت ذلك، واعتبرت أنّ السبب الحقيقي للمنع هو أنّ الشريط «يحمّل اللبنانيين مسؤولية الحرب الأهلية». سيتاح للمهتم مشاهدة الفيلم على موقع «نادي لكل الناس» حتى الثامن من حزيران (يونيو)، على أن يُقدّم حوار مع المخرج والناقد محمد سويد حول الفيلم على صفحة النادي على فايسبوك بعد ظهر يوم الاثنين (من الساعة السادسة حتى الثامنة).

ورش تفاعلية في سفارة «الأم الحنون»

أطلقت «السفارة الفرنسية» أخيراً بالتعاون مع «المعهد الفرنسي في لبنان»، وMakesense، برنامج «أمضي» لدعم المبادرات الشبابية والشركات الناشئة، التي تركّز على المشاكل والتحديات الاجتماعية والبيئية في لبنان (تمكين الشباب، البيئة، الطاقة المتجدّدة والمياه، زيادة فرص العمل، الأمن الغذائي، المساواة الاجتماعية...). يتضمن البرنامج دعماً وتدريباً تقنياً عبر ورش عمل تفاعلية، تضمذ مستشارين اختصاصيين، على أن يبدأ التقديم في الشهر الحالي ويمتدّ حتى 15 تموز (يوليو) المقبل. ودعا القائمون على هذا البرنامج الراغبين ممن هم بحاجة إلى مساعدة أو لديهم أفكار للتطوير والانضمام إلى المشروع إلى مراسلتهم على موقع .lebanon makesense.org/events. الورشة عبارة عن ساعتين في بداية الأمر، تتخللها أنشطة جماعية تهدف إلى تعزيز التواصل بين المشاركين. وبعدها سيدخل هؤلاء خطوات منهجية علمية تسهم في تحويل أفكارهم إلى مشاريع، عن طريق فريق من الاختصاصيين.

«متحف سرسق» ينتظركم على أحرّ من الجمر

بعد أشهر من التواصل الافتراضي مع الناس بسبب الحجر المنزلي والتحديات التي فرضها وباء كورونا، ها هو متحف سرسق يعلن فتح أبوابه اعتباراً من 11 حزيران (يونيو) المقبل. إذ أعلنت إدارة المتحف في بيان: «واجهنا في الأشهر القليلة الماضية، ظروفاً استثنائية وغير مسبوقة، بدءاً من الاحتجاجات في مختلف أنحاء البلاد وصولاً إلى جائحة فيروس كورونا العالميّة. شكّلت الفترة المنصرمة محطةً لعدد كبير منا للعودة إلى الذات والتفكير ملياً في شتى المسائل». وتابع البيان: «يعاود المتحف فتح أبوابه ضمن الدوام المعمول به عادةً. ونحن حريصون أشدّ الحرص على سلامة موظفينا وزوارنا (...) لذلك نتّخذ سلسلة من التدابير حفاظاً على سلامة الجميع، تشمل فحص درجة الحرارة، وتعقيم اليدَين من خلال المحطات العديدة الموزَّعة في أرجاء المتحف، وإدخال عدد محدد من الزوار إلى صالات العرض». إلى جانب المجموعة الدائمة التي تُعرَض في المتحف تحت عنوان «عشر روايات من مجموعة متحف سرسق»، يُقام معرض جديد بعنوان «الباستيل أو بريق الحياة»، يشمل مجموعة مختارة من الدراسات والبورتريهات المرسومة بألوان الباستيل من توقيع الفنان جورج داود قرم. علماً أنّ جميع الأعمال في المعرض هي من مجموعة جورج قرم التي أودِعت في متحف سرسق في عام 2018. وأشار البيان إلى أنّ الدخول إلى المتحف ما زال مجانياً، لكنه توقّف عند التحديات الاقتصادية والمالية التي تواجهها المؤسسات والفضاءات الثقافية في لبنان، متمنياً على الزوّار «التبرع بمبلغ، ولو صغير، عند زيارتكم المتحف». وختم بأنّ 50 في المئة من مجموع التبرعات التي تُقدَّم إلى متحف سرسق، ستذهب لدعم بنك الغذاء اللبناني الذي يوزّع الطعام يومياً على العائلات المعوزة والمحتاجين.

الأخبار
al-akhbar

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

السبت 6 حزيران 2020
العدد 4067 السنة الرابعة عشرة
Samedi 6 Mai 2020 no 4067 14ème année

ملصق من تصميم DeviantArt -EriOl/ المناضلة الأميركية انجيلا دايفيس

الجسد الأسود في مواجهة القهر والعنصرية والاستعمار

فليكُن العالمُ قصيدةً سوداءَ

«الشعر الأسود في أميركا هو شعر الجموع الناشئة المتغيّرة، المخلوقات الحية، أقارب أقدم الناس على الأرض. لقد بدأ إحساسنا وفهمنا مع بداية الكوكب، ونحن ننهض مدركين هذا، وأغانينا تذهب من هنا إلى هناك. لا يوجد سديم فوق الامبراطوريات الأفريقية، لقد انتهى تعتيم عالمنا، وها نحن نعود مرة أخرى». هكذا يُعرّف أميري بركة (1934ـ2014) الشعر الأسود الديناميكي والحسي الخارج إلى الضوء في مقابل الشعر «الهندسي» والمحنّط للرجل الأبيض وثقافته الحديدية المعلّبة: حمل الشعراء الأفرو ـ أميركيون إلى الأدب الأميركي «الإحساس» أو الروح التي تنكّرت لها حضارة ناطحات السحاب وحاملات الطائرات ومطاعم المكدونالدز، والمحتوى الذي يلتهم الشكل لا العكس، إضافة إلى الأغاني والسحر والطوطم و«محاكاة عناصر الكون الأساسية شعراً». كما أن لانغستون هيوز طبع بقصيدته الشهيرة «أنا أيضاً أغني أميركا» هذا الوجه الآخر للشعر الأميركي مع بوب كوفمان وغيره من الأصوات المشاكسة التي طبعت منتصف القرن الماضي، من حركة جيل «البيت» ومجموعة غينسبرغ والتيارات التي واكبت حركة مالكوم إكس وغيرها من حركات النضال الطويل الذي خاضه أصحاب البشرة السمراء للحصول على حقوقهم في بلاد العم سام. ثنائية المستعبِر/ المستَعمَر، والذكريات المرة لاستحضار العبيد من القارة السمراء إلى بلاد «الحلم والمغامرة» ونضالهم المرّ في سبيل كرامتهم وحقوقهم، ستحضر بقوة في قصائد الشعراء الرواد، فكتبوا الشعر كفعل سياسي ودعوة إلى اجتراح لغة مختلفة عن لغة الرجل الأبيض. لغة سمراء في الفن والإبداع والأدب. بعد تحصيل الأقليات لحقوقها في نهاية الستينيات من القرن الماضي، تشذّبت اللغة الشعرية للشعراء الأفرو. أميركيين لتتناول هموماً شخصية ومسائل فنية متخفّفة من قلق الهوية ووجع الجذور، وإن ظلت ملامح القلق وعدم الاستقرار تطل برؤوسها في قصائد الشعراء المتأخرين حيث «السقف يطفو مبتعداً وهو يتنهّد»، كما تقول ريتا دوف (1952). لم يخطر بالتأكيد في بال الشعراء والمبدعين أن يصل إلى سدّة الرئاسة مجنون البيت الأبيض بكلابه البوليسية وشرطته وأجهزة قمعه التي ستضغط على عنق جورج فلويد وهو يصرخ: «أريد أن أتنفّس»، ليعيد معركة استعادة الكرامة والحقوق إلى منطقة البدايات في زمن العولمة الصعب والإشكالي. إنه الهواء نفسه للحرية الذي تتوق إليه الشعوب المعذّبة بسوط «الرجل الأبيض»، من فلسطين إلى اليمن والعراق ودول أميركا اللاتينية، الحديقة الخلفية للامبراطورية التي فاقت روما طغياناً وعدواناً وجبروتاً وقوة. «يا شعراء الماضي السود المجهولين/ كيف لمست شفاهكم النار المقدّسة؟/كيف عرفتم في الظلمة جمال قيثارة العازف وعظمتها؟/ ومن أوّل من رفع . وهو في الأغلال . بعينيه؟»، من صرخة جيمس ولدون جونسون في أواخر القرن التاسع عشر حتى صرخة جورج فلويد، نستعرض في «كلمات» الصوت الذي يفيض بالغضب والحب وموسيقى الجاز... الصوت الذي يقول عبر التاريخ: «لا» للمعتوه والعنصري والأحمق.

إعداد **محمد ناصر الدين**

الاشياء الموجودة في خزانات الرجال السود

هناك، فوق الرفّ العلوي من الخزانة
قنّينة يعتمرها أبي في مناسبات خاصة:
موضوعةٌ بقرب جرّة كبيرة الحجم
كان يجمعُ بها القطعَ النقدية الصغيرة

كان رأسه عارياً على الدوام
عندما أراهُ ماشياً في الشارع

وذات مرة، جلستُ في غرفة نومه أراقبه
وهو يبحث بين قمصانه وبدلاته
عن شيءٍ مفقود،
ربطة عنق ربّما

ثم توقّف فجأةً...
وسار ببطء نحو الخزانة
ورفع القبّعة من أعلى الرفّ.

جلستُ على السرير
وأنا أتامل ظهرهُ
منتظراً أن يلتفت
ويخبرني من الذي مات هذه المرّة.

كارلوس

في ساحة الفناء،
عند الشجرة،
فقدت وعيَها ماريا

دموعُها
أخبرتْنا بموت كارلوس

سالتهم عن جثمانه فضحكوا،
واخبروني
أن في إمكاني تسلّمه
إن دفعتُ لهم ثمن الرصاصات
التي قتلته.

أيُّ حيواناتٍ ضارية
تحكم هذه البلاد؟

وهي ممسكة بيدَي ماريا،
همستُ أمي بهدوء:
خوان
هناك بعض القطع النقدية
في غرفتي

رجاءً.

إي. أثيلريت ميلر (1950)، من مجموعة «في الليل كلّنا شعراء سود» (ترجمة وصال العلاق، منشورات كلمة، أبوظبي).

انا ايضاً

أنا أيضاً أغنّي أميركا.
أنا الآخ الداكن
يرسلونني لآكل في المطبخ
حين تأتي الرفقة،
لكنني أضحك،
وآكل جيداً،
وأصير قوياً،
وغداً،
حين تاتي الرفقة
سأكون على المائدة.
لن يجرؤ أحد عندها
أن يقول لي:
«كُل في المطبخ».

إلى ذلك
سيرون كم أني جميل
وسيخجلون من أنفسهم.
أنا، أيضاً، أميركا.
حين يأتي العجوز الموت جامع الرّمم
ليجمع أجسادنا
ويرميها في كيس النسيان،
تساءل ما إذا كان سيجد
أن جثة مليونير كبير
تساوي قروشاً أكثر من الأبدية
من البدن الأسود
لمزارع قطن أسود.

خائفون

نبكي بين ناطحات السحاب
كما بكى أسلافنا
بين نخيل أفريقيا
لأننا وحيدون.
إنه الليل
ونحن خائفون.

راقصان زنجيان

«جسدي وجسد حبيبتي
يعرفان طريقتين أخريين،
طريقتين مختلفتين لرقص الشارلستون!
دا، دا،
دا، دا، دا!
طريقتين أخريين لرقص الشارلستون!»

ضوء خفيف على الطاولات،
موسيقى جذلة،
راقصون سمرٌ
في ملهى ليلي.
اضحكوا أيها البيض!
أيها البيض صلّوا!
«جسدي وجسد حبيبتي
يعرفان طريقتين أخريين،
طريقتين مختلفتين لرقص الشارلستون!»

العدالة

إنّ العدالة ربّة عمياء
حكمة نعرفها جيداً نحن السود.
ضمادتها تخفي جرحين متقرّحين
ربما كانا ذات يوم عينين.

إلى مثقفين معينين

لستم أصدقائي
لأني فقير،
أسود،
جاهل وبطيء الفهم،
لست من نوعكم.
أنتم أنفسكم
قلتم لي ذلك،
لستم أصدقائي.

لانغستون هيوز (1902ـ1967). من مجموعة «أنا أيضاً أغنّي أميركا». ترجمة سامر أبو هواش، منشورات الجمل.

فنٌ أسود

القصائدُ هراءٌ إن لم تكن
أسناناً أو أشجاراً أو ليموناً مُكدّساً
على درَجٍ. أو سيداتٍ سوداً يمْتَن
بعدَ رجالٍ يتركون قلوباً من حديد
تهزُمُهنّ. اللعنةُ على القصائد،
مع أنها مفيدةٌ، تطلقُ النارَ
كرسيٍّ عالٍ في حانةٍ ساردي وكرتا عينيهِ ذائبتان
في نيران حارّة، زعيمٌ زنجيٌ آخرُ
على دَرَجِ البيتِ الأبيض
راكعاً بينَ فخذَي العمدة
يفاوضُ ببرود من أجل شعبهِ.
آجا... يتعثّرُ عبرَ الحُجرة...
فتلْتَبسِه، يا قصيدةُ، عَرَبِه
أمامَ العالم! قصيدةٌ أخرى رديئةٌ
تُشقُّقُ
أسناناً مُطعَّمةً في فمِ امراةٍ يهودية
قصيدةٌ صَرخةٌ سُمَّ غارٌ على بهائمَ في بيربه أخضرَ
تُنظّفُ العالمَ لأجل الحبّ والفضيلة.
لا تُسطّروا قصائدَ حبٍّ هناكَ
حتى يوجَدَ حبٌّ حرٌّ
ونظيفٌ. فليفهَم شَعبُ السودِ
أنهم العشّاقُ وأبناءُ
المُحاربين وأبناءُ
المُحاربين هم القصائدُ والشعراءُ
وكلّ جَمالٍ في هذا العالمِ

نريدُ قصيدةً سوداء.
وعالماً أسودَ.
فليكُن العالمُ قصيدةً سوداءَ
وليُعلنْ شعبُ السودِ جميعاً هذهِ القصيدةَ
في صَمتٍ
أو بصَخَبٍ.

أميري بركة (1934ـ2014)، من كتاب «حركة الفن الأسود»، ترجمة محمد عيد ابراهيم، مدوّنة جورج باتاي).

الصدى الحزين

المسامات الصغيرة المحفورةُ
في جلدي،
ملايينِ
من القبور السرية الصغيرة،
مليئة بالأحاسيس الميتة.
تلك التي لن تبقى
ميتةً.

الشعرات الصغيرة المُشعرة
على رأسي،
ملايينُ
من الأشجار السرّية الصغيرة،
مليئة بالطيور
الميّتة،
تلك التي لن تبقى
ميّتة.

وحين أموتُ
لن أبقى ميّتاً.

التماس

أيها المسافر، الهائم القلب،
الذاهب إلى مليون منتصف ليل،
أسود، مظلم،
يا مسافراً، هائماً في عوالم
النجوم،
أيها الذاهب إلى مليون غدٍ،
أسود، مظلم،
ابحثْ واعثرْ على أطفال
هيروشيما
استعبدهم وأعدْهُم.

اخرقْ كاتدرائيات مختومة
بالاسمنت،
مقفلة روحياً،
واملأ المسارح الشاغرة
بتسليتاتها البالية
وبضحك أوشك أن يُنسى.
العالقين بلا أمل،
في شراك بشرتهم المترفة.

اعثر على الحب،
وعلى حقنة مخدّر أبدي
للمدمنين اليائسين،
متسلّلين إلى ليلة مفقودة منذ أمد بعيد.

أيها المسافر الآن
إلى مليون منتصف ليل، أسوَد،
مظلم،
ابحثْ عن أطفال هيروشيما
واستعبدهم
وأعدِمْهم.

مينغوس

عازفو «الباس» ماضغو الأوتار
يعزفون كأنّهم يقطفون كرات
الصوت المتدلية
من ليلة معطّرة بالحاز.
مطعمين جوع التوّاقين للصّخب
نبضات القلب في شكل أصابع،
محفّزين أظافرَ عاجيّة
في عيونهم الشّرهة.
فتنبعث بلّورات دخانية
من خياشيم جانّ الحاز الطليقين
لتتهشم قادمة من أمس ضبابيّ
إلى نور ليلةٍ خيالية.

بوب كوفمان (1925ـ1986)، من مجموعة «عزلة مكتظة بالوحدة». ترجمة: محمد مظلوم، منشورات الجمل.

الهندسة

أبرهن على صحة نظريّة فيتمدد البيت:
تهتز النوافذ حتى تصبح طليقة
لتحلّق قرب السقف،
والسقف يطفو مبتعداً وهو يتنهّد.

وإذ تخلّص الجدران نفسها من كل شيء
سوى الشفافية، يرحل معها
عبير القرنفل:
أنا بالخارج في العراء،
والنوافذ صارت فراشات معلقة في الأعالي،
نور الشمس يلمع حيث تقاطعت،
إنها تتجه نحو نقطة حقيقية لم يُبرهَن عليها.

ريتا دوف (1952). من كتاب «مختارات من الشعر الأميركي المعاصر»، ترجمة حسن حلمي، دار شرقيات.

جذور

كم يؤسفني اعترازُكِ
بالرجل الذي اغتصبَ
جدة جدةِ جدتكِ
فأورثكِ شَعراً ناعماً،
لحظة لو سمحت:
هذا ليس حسداً،
هذا أسى على الطريق الطويل
الذي علينا اجتيازه
قبل أن نصبحَ أختين.
فأنا يمكن أن تُرَدّ أصولي
من خلال جذور شعري
إلى نيروبي
ولا تحاولي أن تشعريني بالخزي
من هذه الحقيقة
عفواً، شعري ينمو
في حقول القطن المصفوفة الجافة
التي في رأسي
وشعري لن يطير في الريح
مثل امرأة
أنا لست إيّاها.

تشارلوت واطسون شيرمين (1958)

إغراء

في يوم ما
ستسير في هذا البيت
وسارتدي عباءة أفريقية طويلة
سنجلس وتقول: «إنّ السودَ...»
فأخرج منها ذراعاً،
وعندئذ ستقول-دون أن تلاحظ ما فعلته
«وماذا عن هذا الأخ...»
سأسمع بأذُن وأخرج من الأخرى
وستسترسل وتتحدث عن «الثورة»
فيما أريح يدك على بطني
ستواصل كدأبك قائلاً:
«أنا لا أستطيع أن أفهم»
فيما أحرّك يدي لأعلى وأسفل
وأنزع عنك البلوفر
حينئذ ستقول: «إن ما نحتاجه بالفعل...»
وأنزع سرواله
فتلاحظ عريك
أعرف أنك ستقول:
«بكي، أليس هذا مضاداً للثورة؟»

(بكي جيوفاني (1943)

تمهيد رسالة منتحر من عشرين جزءاً

مؤخراً ألفتُ الطريقة التي تنفتحُ بها الأرض
وتطويني كلما خرجتُ لكي أنزّه الكلب
أو الموسيقى السخيفة عريضة الحواف التي تعزفها الريح
وأنا أجري خلف أوتوبيس.

نعم، وصلت الأمور إلى هذه الدرجة.
الآن، كل ليلة، أعدّ النجوم
وكل ليلة أصِل إلى نفس الرقم،
وحين لا تعود إلى البزوغ
ولا يعود بوسعي أن أحصيها
سأحصي الثقوب التي خلّفتها.

ما عاد أحد يغني.
في الليلة الماضية،
تسللت إلى غرفة ابنتي
وسمعتها
وهي تكلم أحداً،
لم أجدْ سواها
جاثيةً على ركبتيها
تختلس النظر إلى يديها المضمومتين.

اميري بركة

(*النصوص من كتاب «وجه أميركا الأسود، وجه أميركا الجميل»، ترجمة أحمد شافعي، المشروع القومي للترجمة).

عن إحضاري من افريقيا إلى أميركا

هي الرحمة التي أتت بي من أرضي الوثنية،
علّمت روحي المظلمة أن تدرك
أن الله موجود، وأن المسيح موجود:
لم التمس الخلاص يوماً ولم أعرفه.
البعض يشاهدون سباق السمّور
عندنا بازدراء،
«لونهم لعنةٌ شيطانية».
تذكّروا أيها النصارى، أنّ الزنوج، سود اللون مثل قابيل،
قد يتطهّرون، وينضمّون إلى الموكب الملائكي.

(فيليس ويتلي، 1735ـ1784)

تحذيرات

أيها الفتية
لا أعدكم بشيء
سوى هذا
الذي ترتهنون عليه
سأفكّ رهان كل ما تسرقون
ساستر صمتكم الخفيّ
فذنبكم العلني هو كل ما أملك.

أيتها الفتيات
في المرّة الأولى
التي يفتح فيها رجلٌ أبيض بابه
سنضحك
اضحكن عالياً، يا نسائي الزنجيات
أيها الأطفال، حين يسالونكم:
«ألم والدتكم مضحكة جداً؟»
قولوا إنها شاعرة
لا تفتقد حسّاً.

لوسيل كليفتون . 1936ـ2010

رمية الرامي

أحياناً أشعر أنّي لن أتوقف أبداً
سأستمر إلى الأبد
إلى أن يأتي صباح يوم جميل
أرفع يدي وانتزع حفنة من النجوم
وأحرك ساقي العوجاء الطويلة
وأسوط ثلاث ضربات حادة
محرقة السماوات
ثم انظر إلى الله وأقول
ما رأيك في هذه!!!

صموئيل والّن (1917 ـ 2015)

المتمرّدة

عندما أموت
أنا على يقين
أنّ جنازتي
ستكون مهيبة...
سيأتي أصحاب الفضول
ليروا
إن كنت حقيقةً قد متّ
أم أنّي مجرّد
أحاول أن
أفتعل
مشكلة.

ماري ايفانس (1919ـ2017)

مشقّة

أمي،
أبي،
ونحن 10 أطفال
عشنا في غرفة واحدة.
ذات مرة، مرضتُ
وكانَي على وشك الموت
سمعتُ صيحةً
تقطع الكآبة
«مرحى!
ستتحصل على غرفة أخرى».

جون رافن (1936)

إلى راقصة

عندما يموت العشّاق يتفتحون عناقيد
لذا ثمة نبيذ وفير في الحب
ولذا لا زلت ثملاً بك.

اسماعيل ريد (1938)

اغتيال

كانت وحشيةً.
أصابت الرصاصات موضعاً عالياً.
(الحلق-الرقبة)
ومن كل مكان:
الفندق، من تحت الحمرة والسيارات،
من كل ركن وعبر الشوارع،
من حاويات القمامة ومن جحور الجرذان
في الأرض جاؤوا بركضون.
ببنادق مستلّة
جاءوا بركضون باتجاه الملك
جميعهم ثابتون ووائقون-
كأن الملك
أوشك على إطلاق النار.
جاؤوا بركضون،
ثابتين واثقين،
في الاتجاه الخطأ.

دون لوثر لي (1942).

جينولوجيا

أشجار المغنوليا
التي تزهر في شمس الصيف
في أيام الصيف
في الجنوب
تحمل اسم أمّي
المدوّن على كل ورقة
حيث يداها لمستا
شجيرات مزّقت ظهري
منذ عهد بعيد في حرارة الصيف
بعد يوم
انحنت فيه أمي
فوق نبات القطن
وأنشدت
في حقول حيث عملت أمها
قبل أن تولد
وأنشدت هي الأخرى أغاني
يملؤها الحزن للدمع.

فرانك لامونت فيليبس (1950)

مواجهة

يتلاشى وجهي الأسود
متوارياً داخل الغرانيت الأسود.
قلت لن أفعل،
اللعنة: لا دموع.
أنا حجَر. أنا بشر.
يرقبني انعكاسي الغائم
مثل طير جارح، صورة الليل الجانبية
تميل على الصباح. أتحوّل إلى هذا الاتجاه-
يسرّحني الحجر.
أتحوّل إلى هذا الاتجاه-أنا داخل النصب التذكاري للمحاربين في فيتنام
ثانيةً، متكلاً على الضوء
أن يحدث الفرق.
أمرّ على 58.022 اسماً،
أتوقع جزئياً
أن أعثر على اسمي
في حروف كالدخان.

الأمس الاسم: أندرو جونسون؛
أرى وميض الفخ الأبيض.
تلمع الأسماء على بلوزة سيدة
لكنها عندما تغادر
تبقى الأسماء على الحائط.
لمسات الفرشاة تلمع، أجنحة طير أحمر
تقطع تحديقي.
السماء. طائرة في السماء.
صورة طبيب بيطري أبيض تطفو
قريباً مني، ثم تتامل عيناه الشاحبتان عينيّ.
أنا نافذة. ضيّع ذراعه اليمنى داخل الحجَر.
في المراة السوداء
ثمّة سيدة تحاول محو الأسماء:
كلا، إنها تمشط شعر فتىً.

يوسف كومونياكا (1947)

* القصائد من كتاب «الموت في أرض حرّة-مختارات من الشعر الأفرو-أميركي»، ترجمة ريم غنايم، منشورات الجمل).

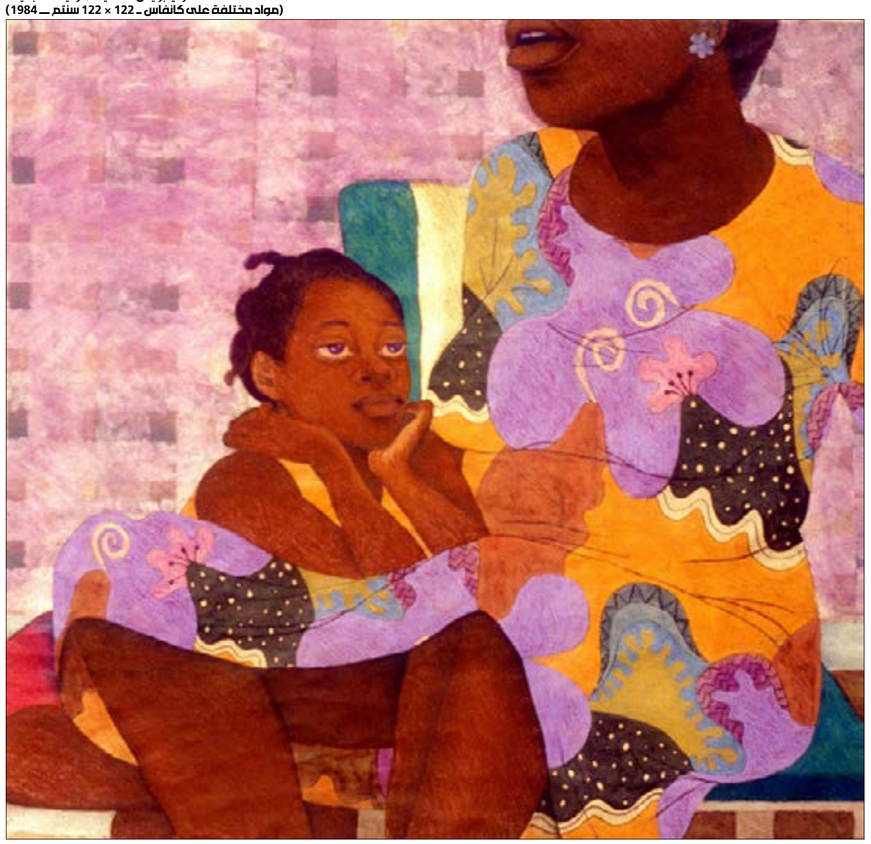

سونيا بويس ـ «حديث امراتين ناضجتين» (مواد مختلفة على كانفاس ـ 122 × 122 سنتم ـ 1984)

الجسد الأسود في مواجهة القهر والعنصرية والاستعمار

الاغنية. واقل منها الموسيقى. لا تُغيّر العالم. لكن لم يحدث ان تَغيَّر العالم بدون اغنية او موسيقى. النغمة ليست ماكينة تغيير. لكنها تزيّت هذه الماكينة. تبعث في العامل خلفها بعض النشاط والمعنويات. توّنسه. تدعمه. تعانقه. تعزّيه. الأغاني الثورية او السياسية او الاحتجاجية او الملتزمة عددها هائل في التاريخ. لا يخلو ريبرتوار شعبي منها. إذ لم يخلُ مجتمع من ظلم. كانه احدى رآتيه. بالتأكيد «المارد اللطيف» جورج فلويد ليس اول المظلومين. وبالتأكيد لن يكون الاخير. وهذا النوع من الاغاني. كالوجع. لن يموت. السود لهم لأنحتهم الخاصة. الطويلة. الموتّرة والخالدة. كيف لا. وهم يتنفّسون إيقاعاً ونغماً ويُقتلون خنقاً وشنقاً. في مايلي خمس اغنيات تنوب عن هذه اللائحة. إنها روائع موسيقية وادبية ووصمة عار على جبين البيض

نينا سيمون غنية عن التعريف. ليس في عالم الغناء الأسود فحسب. بل في النضال ايضاً (مايكل اوخس)

أغنيات الاحتجاج ضاقت بآهات المظلومين

بشير صفير

Strange Fruit ــ بيلي هوليداي

لا يهمّ الترتيب الذي ستَرد فيه الأغنيات الأخرى، لكن في المرتبة الأولى لا مكان إلّا لهذه الأغنية. المفارقة أن من كتبها ولحّنها هو رجلٌ أبيض. أميركي، شيوعي في فترة من حياته، يدعى أبيل ميروبول (كتبها تحت اسم لويس ألن) عام 1937 بعدما شاهد بعينيه التنكيل بشابين اسمرين علّقتهما زمرةٌ من الجبناء البيض على شجرة. هي ليست أغنية ثورية ولا احتجاجية ولا سياسية... إنها أغنية سريالية. رأى ألبن الشابين كأنهما ثمار هذه الشجرة. ثمار غريبة.

سجّلت بيلي هوليداي هذه الأغنية عام 1939، لكن النسخة التي تخطّت تسبقها ضربة مخنوقة على البيانو (وينتن كيلي، الكبير)، ولاحقاً مرافقة خفية ستدوم حتى النهاية... ويدخل صوت هوليداي الدامي. يقشعرّ بدننا حتى عند كتابة هذه الجملة. نفكّر بالإصبع الذي ضغط على التسجيل يومها. ماذا لو لم يفعل؟ يا إلهي! تطرح المغنية المقطع الأول. يظهر الترومبت ليقول مرّة ثانية: هيّا يا بيلي، تابعي، صفي بعد. ماذا شاهدتِ على تلك الشجرة؟ بعدها سينكفئ ولن يعود. هل تأثر إلى هذه الدرجة؟ فهذه آلة نفخية، ومن يبكي، لن يستطيع العزف. ضمّد البيانو. تصرخ الليدي صرختها الأخيرة، فيدخل الغيتار (كيني بارل، أيضاً الكبير) ليختم بنوطات قليلة. لكنه كان هنا. كان يعزف بعيداً، نصف مشلول، طوال الوقت. وتقفل الحكاية على ضربة طبول عشوائية (ليني ماكبراون). إذاً، لقد كان أيضاً عازف الدرامز هنا. نتخيّله جالساً طوال الوقت. يسمع. يشمئز. ولا يشارك أبداً. ربما لم يكن مقرراً أن يعزف على هذه الأغنية بالذات، إنما آلته تسمح له بفشّة خلق من خارج المتفّق عليه موسيقياً. الشريط يلتفّ على عنق البكرة لثلاث دقائق. ينظر مهندس الصوت إليه. ترتجف يده. يضغط على stop... ويصرخ: لا أستطيع أن أتنفّس.

> صوت بيلي هوليداي في Strange Fruit لا يشبه صوتها في أي من أغانيها

Respect ــ اريثا فرانكلين

ما ينقص السود في أميركا هو القليل من الاحترام. هذا باختصار ما التقطه الموسيقي ومغني السول والـR&B الكبير أوتيس ريدينغ. قال كلمته عام 1965 ورحل عن 26 ربيعاً عام 1967 عندما تحطمت طائرته وهو في طريقه إلى إحدى حفلاته. إنها تحفة موسيقية في فئتها، تنضح حيوية واعتراضاً محبّباً على طريقة السود. أريثا فرانكلين ما كانت لتدع هكذا أغنية وشأنها... فنفخت فيها جرعة إضافية من الطاقة جعلت منها نشيداً ثورياً. سجّلت «الملكة» هذه الأغنية عام 1967 فطبعتها باسمها الذي أصبح Respect مرادفاً له، ويكاد لا يخلو ظهورٌ لها من دون هذه الصرخة. لكن كل التسجيلات لفرانكلين وغيرها، للأغنية الخالدة في دفة، وفي الدفة الأخرى أداء فرانكلين التمثيلي لها في فيلم The Blues Brothers 2000. بالمناسبة، إن النسخة الأولى من الفيلم المذكور (1981) غنّت الملكة Think وطالبت بالحرية، وفي النسخة الثانية (1998) طالبت ببعض الاحترام. أما اليوم فكل ما يطلبه السود هو القليل من الأوكسيجين.

What's Goin' On ــ مارفن غاي

كان مارفن غاي (1939 ــ 1984) مسكوناً بروح ليست من هذا العالم، يتمتع ببطاقات صوتية وادائية ليست مألوفة. قتله والده، مارفن غاي الأب. تشاجر والداه لسبب تافه، فتدخّل مارفن الابن مدافعاً عن والدته. كان والده يردّد دائماً على مسامع ابنه: أعطيتك الحياة ويمكنني أن آخذها منك... وفعلها. أطلق عليه النار، قبل يوم من عيد ميلاده الـ45، من مسدس كان قد أهداه إياه المغني الكبير لمناسبة عيد الميلاد قبل ثلاثة أشهر. خسارة كبيرة، لكن ما أنجزه مارفن غاي في حياته أكبر من أن يُقتَل. من ضمن أشهر أغانيه عموماً، ومن أهم الأغاني التي تناولت معاناة السود في أميركا، What's Goin' On (ماذا يجري؟). الهدوء في صوت مارفن غاي في هذه الأغنية مقلق. إنه نوع من السلام المخنوق بوجع عميق. لا أحد يؤدي هذه الأنغام كما سجّلها صاحبها عام 1970. إنها تحفة على مستوى اللحن وكيفية بنائه تدريجاً ليبلغ ذاك السؤال. تشكل هذه الأغنية ثمرة تحوّل مارفن غاي من مغنٍّ عاطفي إلى فنان لديه هموم اجتماعية. أحداث عدة ساهمت في تبلور وعيه السياسي في النصف الثاني من الستينيات، منها الداخلي ومنها الخارجي المرتبط بالداخل الأميركي (الحرب على فيتنام)، فتزاحمت الأسئلة حول كل تلك المواضيع لتنتهي، بشكل هادئ، إلى نبذ العنف والدعوة إلى الحوار. لكن إن أردتَ أن تحاور إنساناً، عليه أن يرفع رجله عن عنقك أولاً.

Mississippi Goddam ــ نينا سيمون

نينا سيمون غنية عن التعريف، ليس في عالم الفن والغناء الأسود فحسب، بل في النضال أيضاً. هذا موضوع طويل، لا يمكن معالجته هنا، لكن يمكن اختصاره بهذه الأغنية التي ننتقل فيها، بحسب التسلسل المطروح، من وصف المعاناة، إلى المطالبة بالكرامة، ثم من الدعوة إلى الحوار، إلى... العدائية. فعندما تفشل كل محاولات التلاقي، يبقى الحل في الهجوم العنيف. إنها بدون شك من أجمل الأغاني في فئتها... «ميسيسيبي العظيمة» (أو «ميسيسيبي العاهرة» إن أردتم). هكذا، وبكل وضوح.

أدّت نينا سيمون هذه الأغنية في تسجيل حيّ أول مرّة. كأنها تقول إن تسجيلها في استوديو قد يعرقله منتجٌ خائفٌ على مصالحه من هنا أو صديق حريص من هناك. كتبتها نصاً ولحناً بسرعة قياسية «رداً» على أحداث حقيقية واعتداءات مجرمة بحق السود في مسيسيبي وجارتيْها، اللعينتين كذلك، الاباما وتينيسي. ما شهدته هذه الولايات الأميركية الجارة من بشاعة في القرن العشرين، من السذاجة مقابلته بالهدوء والحوار. فهي معقل الإرهاب الأميركي الأبيض وفيها نشأت كل المنظمات المتطرفة، أمثال Ku Klux Klan وغيرها. منذ مطلع الأغنية، نشعر أن نينا سيمون محقونة غضباً. تبدأ بتعريف الأغنية، وتضيف: أعني كل كلمة فيها... وتنهال أصابع الاتهام، وصولاً إلى الكفر بالوطن وبالدين، مروراً بسرد المعاناة. وإن رفعت رأسك يقولون: إنها مؤامرة شيوعية! هكذا كان... وما زال.

Say It Loud – I'm Black and I'm Proud ــ جايمس براون

عندما يقول جايمس براون Say it loud (قُلها عالياً) فإنه يعني ذلك جيداً، لأنّ القنبلة صوتها عالٍ. قلباً وقالباً، براون هو قنبلة. يختزن في جسده وحنجرته من الطاقة والحيوية ما يهدّ الجبال، لذا كان لا بدّ من أن توجد موسيقى الفانك وأن يتربع على عرشها. هنا ما عاد على أصحاب البشرة السوداء سوى أن يفتخروا بكونهم سوداً. لا بكاء، لا مطالب، لا حوار، لا شتائم... فخر خام.

نحن في عام 1968 والأغنية نصاً وموسيقى وأداء (ومن غيره لهذا الدور؟) لجايمس براون. العمل فانك من الطراز الرفيع، مع نحاسيات لمّاعة، زخمة، تماماً كملامح براون. محور الكلام التحدّي بحقّ. الصمود للحصول على الحقوق، ودائماً، عودة إلى المفاخرة بالأصول العرقية، فاللازمة الكلامية هي: قُلها عالياً... يقول براون، ويبرّ عليه الكورس: أنا أسود وأفتخر بذلك. واهم ما في هذا الردّ أن الكورس يتألف فقط من أولاد، فقد أراد براون أن يشير، بشكل واضح، إلى أن هذا ما يجب أن تُربّى عليه الأجيال... ومستقبلها لناظره قريب.

من أوسكار ميتشو إلى سبايك لي
السينما الأفرو أميركية: متى يتوقف التاريخ عن تكرار نفسه؟

شفيق طبارة

في أواخر الثمانينيات، كان المخرج الأميركي سبايك لي غارقاً في تصوير أحد أهم الأفلام في مسيرته: فيلم «افعل الصواب» (1989) في بيدفورد ستويفيسانت. أدخلنا لي في هذا الشريط إلى هذا الحي في بروكلين بعيون سكانه. أظهر لنا بطريقته الخاصة ما كان يحصل في ذلك الوقت: النزاعات العرقية يمكن أن تنفجر في أي لحظة، بعد عشر سنوات من صدوره، شقّ الفيلم طريقه إلى «سجل الأفلام الوطني» في مكتبة الكونغرس كونه «مهمّاً من الناحية الثقافية أو التاريخية أو الجمالية». وبعد 31 عاماً، لا يزال فيلم سبايك لي راهناً أكثر من أي وقت!

«الأخوة الثلاثة» (2020) هو عنوان الفيلم القصير الذي احتجّ فيه سبايك لي على وفاة إيريك غارنر (2014) وجورج فلويد (2020). كلاهما ضحية عنف الشرطة العنصرية في الولايات المتحدة. في الفيلم القصير الذي نشره أخيراً على صفحته على تويتر، تداخل بين المشاهد الحقيقية لهاتين الجريمتين، ومشهد قتل راديو رحيم (بيل نان) على يد الشرطة في فيلم «أفعل الصواب». لتكريم غارنر وفلويد وإثبات حجته، لم يحتج المخرج سوى جملة واحدة في أول الفيلم: «هل سيتوقف التاريخ عن تكرار نفسه؟». لعل سبايك لي، أحد أشهر المخرجين الأميركيين السود المعاصرين، لكنه ليس الوحيد في تاريخ السينما الذين منح صوتاً للأفرو ـ أميركيين في أفلامه، عبر إظهار نضالاتهم الاتهام، وصولاً إلى الكفر بالوطن وبالدين، مروراً بسرد المعاناة. وإن رفعت رأسك يقولون: إنها مؤامرة شيوعية! هكذا كان... وما زال.

Say It Loud – I'm Black and I'm Proud ــ جايمس براون

عندما يقول جايمس براون (قُلها عالياً) فإنه يعني ذلك جيداً، لأنّ القنبلة صوتها عالٍ. قلباً وقالباً، براون هو قنبلة. يختزن في جسده وحنجرته من الطاقة والحيوية ما يهدّ الجبال، لذا كان لا بدّ من أن توجد موسيقى الفانك وأن يتربع على عرشها. هنا ما عاد على أصحاب البشرة السوداء سوى أن يفتخروا بكونهم سوداً. لا بكاء، لا مطالب، لا حوار، لا شتائم... فخر خام.

نحن في عام 1968 والأغنية نصاً وموسيقى وأداء (ومن غيره لهذا الدور؟) لجايمس براون. العمل فانك من الطراز الرفيع، مع نحاسيات لمّاعة، زخمة، تماماً كملامح براون. محور الكلام التحدّي بحقّ. الصمود للحصول على الحقوق، ودائماً، عودة إلى المفاخرة بالأصول العرقية، فاللازمة الكلامية هي: قُلها عالياً... يقول براون، ويبرّ عليه الكورس: أنا أسود وأفتخر بذلك. واهم ما في هذا الردّ أن الكورس يتألف فقط من أولاد، فقد أراد براون أن يشير، بشكل واضح، إلى أن هذا ما يجب أن تُربّى عليه الأجيال... ومستقبلها لناظره قريب.

> أوسكار ميتشو استخدم السينما لمقارعة الظلم العنصري الذي كابده السود في بداية القرن العشرين

قصص تركز على الصراع والنمو الشخصي في مجتمع يستمرّ فيه لون البشرة في التأثير على جميع مفاصل الحياة والموت.

بالرغم من هيمنة «البياض» على السينما، كانت أول بدايات الصراع العنصري في هوليوود عام 1915 عندما بدأ المخرجون الأميركيون السود في إخراج أفلام بطاقم مؤلّف من أصحاب البشرة السوداء، موجّهة بالتحديد إلى الجمهور الأميركي من أصل أفريقي. استمرّ ما يعرف بـRace film حتى عام 1950. لذلك، يمكن القول إن الفضل في قوة ومبادئ السينما الأميركية الأفريقية يعود إلى أعمال أوسكار ميتشو، رائد السينما الأميركية الأفريقية ومن أكثر الشخصيات المؤثرة في سينما السود، وأكثر المخرجين إنتاجاً في حقبة السينما الصامتة. ظلّ ميتشو في صناعة الأفلام لفترة أطول من أي مخرج أسود آخر. أنتج 43 فيلماً خلال مسيرته المهنية. إنجازاته كبيرة بالنظر إلى العقبات الاقتصادية والفنية التي واجهها المخرجون الأميركيون من أصل أفريقي. منذ فيلمه الأول The Homesteader عام 1919، تناول قضايا حساسة تجنّبها مخرجون آخرون بشكل منهجي. لقد استخدم السينما لتحدّي تجلّيات الظلم العنصري الذي كابده السود في بداية القرن العشرين مثل: الإعدام، والتمييز الوظيفي، والعنف والاغتصاب والاستغلال الاقتصادي.

عوامل كثيرة أسهمت في تراجع الموجة الأولى من السينما الأميركية الأفريقية بقيادة ميتشو، أهمها الأزمة الاقتصادية عام 1929، وسياسة هوليوود الجديدة في اختيار الفنانين السود من الصف الأول وإعطائهم أدواراً ضمن الأفلام، تنحصر أغلبها في الأدوار الموسيقية (أي الممثل العازف)، بقي الوضع على ما هو عليه حتى أواخر الستينيات. وفي خضم النضال من أجل الحقوق المدنية والنضال الراديكالي الثوري الأسود، شهدت السينما الأفرو ـ أميركية ازدهاراً ثانياً، وهذه المرة من بوابة هوليوود التي فتحت الأبواب أمام المزيد من الفنانين الملونين، ما أسهم في بروز عدد من المشاهير مثل سيدني بواتييه وهاري بيلافونتي. ولكنّ الحقيقة أن الأدوار التي لعبوها كانت مفصّلة من هوليوود وكانت عبارة عن شخصيات تعزّز منظوراً واحداً ولا تعكس البيئة السوداء ولا مشاكلها أو مخاوفها. إذ كانت تجسد شخصيات سوداء تم إقصاؤها من بيئتها ودُمجت في عالم البيض تماماً. ردة الفعل على تجاهل البيئة الأصلية للسود، أدت إلى ظهور الـBlaxploitation الذي ينتمي إلى «سينما الاستغلال» (Exploitation cinema). كانت أفلام هذا النوع تقارب مواضيع «فاضحة» اجتماعياً مثل الجنس والجريمة والمخدّرات، وأبطالها السود (الذكور والإناث) شخصيات قوية ونشطة وغالباً ما تكون عدوانية. أول مَن أطلق هذا النوع هو المخرج ملفين فان بيبلز، الذي بدأ حياته الإبداعية ككاتب تماماً مثل ميتشو. من أشهر أفلامه Water-melon man عام 1970. يقدم الشريط قصة فكاهية عن رجل أبيض عنصري يستيقظ في أحد الأيام وقد تحول لون بشرته إلى الأسود، فيضطر لمواجهة التمييز الناجم عن العنصرية. وهناك أيضاً فيلم Sweet Sweetback's Baadassss Song عام 1971. بالإضافة إلى النجاح التجاري المفاجئ لأفلامه، حظي فان بيبلز باهتمام كبير، وأثار الكثير من الجدل. أما الفرضية الأساسية المتمثّلة في هذه الأفلام من الموجة الجديدة، فهي نقل المركزية البيضاء لصالح أبطال من العرق الأسود وعكس المفاهيم التقليدية للشخص الجيد والشخص السيئ تماماً.

بحلول عام 1974، بدأت هذه الموجة السينمائية السوداء بالتراجع، قبل أن تأتي الثمانينيات المحافظة في عهد ريغان، ويتم إسقاط هذه الأفلام. من جديد، هيمنت هوليوود على السينما السوداء وقدّمت أفلاماً كوميدية أبطالها سود أمثال ريتشارد بريور وإيدي مورفي، لتثبيت صحة النظام وقيم الهيمنة البيضاء. مع ذلك، قامت مجموعة من المخرجين السود الذين أتمّوا دراستهم في جامعات كاليفورنيا، والذين سيعرفون لاحقاً باسم «تمرّد لوس أنجلوس»، بتقديم مشاريع فنية وسياسية تعكس الرؤية الأصلية للسود في أميركا. كانت مشاريعهم تجريبية، وجّهوا فيها خطابات عن «القومية السوداء». لكن هذه الأعمال واجهت الكثير من المصاعب من حيث العرض والتوزيع. على سبيل المثال، استغرق تشارلز بورنيت خمس سنوات لإنهاء فيلمه «قاتل الخراف» (1978)، بسبب البحث عن التمويل وسجن أحد ممثليه. هذه الحركة الجديدة أسست لموجة جديدة من السينما السوداء بدأت في الجزء الثاني من الثمانينيات وأبرز شخصياتها هو سبايك لي.

طور سبايك لي مهاراته السينمائية في وقت مبكر. في عام 1986، قدم عمله الأول. كان ثورياً، سينمائياً وفكرياً. كاميراته تتميز بزاوية غير تقليدية، وأفلامه واضحة التلميحات، مع إشارات إلى تاريخ السينما، واللجوء إلى فن الفكاهة لمعالجة القضايا الحساسة، وإشراك ممثلات لتقديم شخصيات نسائية قوية، والتحدّث المباشر مع المشاهدين (هدم الجدار الرابع). مع فيلمه الثالث «افعل الصواب»، بدأ سبايك لي بمقاربة ذات نبرة حادة للمواضيع التي أكمل بها حياته المهنية. موضوعات يمكن اختصارها بالتوترات العرقية والعنصرية في أميركا.

تأثير فيلمه الثالث كان واسعاً جداً، ليس لأنه أسس مسيرة سبايك لي فحسب، بل كان الشرارة لموجة جديدة من الأفلام الأميركية الأفريقية ذات المصداقية. موجة انطلقت أوائل التسعينات وحملت توقيع مخرجين جدد، عالجوا مشاكل السود الاجتماعية. نذكر مثلاً فيلم Boyz N The Hood (عام 1991) لجون سنغلتون أو فيلم Straight Out of Brooklyn لماتي ريتش أو فيلم «مالكوم اكس» (1992) لسبايك لي، الذي يمكن اعتباره الأكثر طموحاً من حيث البعد السياسي. من خلال السرد المفصّل لحياة السياسية والوجودية ووعي بطلها، أكد لي في الفيلم العلاقة بين الماضي، وحاضر الفيلم، بخاصة مشاهد الأرشيف الشهيرة لوحشية الشرطة التي عانى منها روديني كينغ.

لا يزال لي إلى اليوم حامل راية السينما الأميركية الأفريقية. أفلامه الأخيرة أصبحت أكثر هجومية، وفي الوقت نفسه ساخرة من الواقع القديم والجديد. فيلمه Blackkklansman (الجائزة الكبرى في مهرجان كان وأوسكار أفضل سيناريو مقتبس ـ 2018)، يعيدنا إلى الماضي، وبالتحديد إلى أيام جماعة الـKu Klux Klan وكيف استطاع شرطي أسود الانخراط في الجماعة. فيلمه الأخير 5 Da Bloods الذي كان مقرّراً عرضه خارج المسابقة الرسمية في «مهرجان كان» (النسخة الملغاة عام 2020) سيتاح على منصة نتفليكس ابتداء من 12 من الشهر الحالي، مع العلم بأن سبايك لي كان سيكون رئيس لجنة تحكيم «مهرجان كان» الملغى، وسوف يترأس لجنة التحكيم في نسخة المهرجان العام المقبل. لا يزال لي في حالة حذر. ينبهنا ويواجهنا دائماً بأفلامه الواقعية التي تتصل بصدق بمعاناة الأميركيين السود. يواصل ترسيخ نفسه كركيزة لا جدال فيها للسينما الأميركية الأفريقية، ولسينما من جميع الألوان.

مشهد من Boys N The Hood لجون سنغلتون

من فيلم «افعل الصواب» لسبايك لي

الجسد الأسود في مواجهة القهر والعنصرية والاستعمار

الجسد المستعمَر في الفن: صورٌ وتنميطات لتبديد القلق الأميركي

«تحرير العمّة جميما» (1972) لفنانة بينبي سار (مواد مختلفة ـ 72 ×19)

روان عز الدين

الجسد الأسود الأنثوي. المصطلح المركّب وحده لا يترك أثراً محدّداً، ومن شأنه أن يستحضر صوراً متعدّدة لهذا الجسد، متناقضة أحياناً، تخلط ما بين التمثيلات الخاصّة، وتلك البيضاء، التي تعاملت مع كائن آخر بكل المعاني، لناحية اللون أولاً، يُضاف إليه الجندر في حالة النساء. وما إن نضع المصطلح في سياق أميركي فإنه سيثير وخزة تخترن كلّ التنميطات أو «ألماً مكثّفاً»، كما تصف الكاتبة النسوية الأفرو أميركية بل هوكس الصور التي أنتجها الخيال الأميركي عن أبناء الجلد الأسود. «إنها تمزّق جهودنا لبناء أنفسنا وهويتنا». ومن الفجوات التي تخلّفها تمثيلات كهذه على النفس «سيدخل التواطؤ الطائش، والغضب المدمّر للذات، واليأس العاجز». في اقتراحها لمواجهة هذه الجروح وشفائها، يجب «أن يكون السود التقدميون والمناضلون مستعدّين لبذل جهد للتدخل النقدي في صنع الصور عن أنفسنا وتبديلها... الصور التي ننتجها والطريقة النقدية التي نتكلّم ونكتب بها عن هذه الصور. والأهم علينا رفع التحدي لقول ما لم يقل من قبل». برفقة نضالها على الأرض لنيل الحقوق المدنيّة، وجدت الحركات النسوية السوداء نفسها أمام صراع آخر مع الخيال، خيال يرافق أجساد النساء السوداوات كمرآة كبيرة تلتقي فيها مشارط الأطباء والعدسات البيضاء المدهوشة بالجسد المختلف، ومن ثمّ الإعلانات التجارية والرسامون والمصوّرون الذين أنتجت عدساتهم تمثيلات لسذاجة الأميركي الأبيض

ندبة العبودية

في بحثها عن تمثّلات الجسد العاري الأسود للنساء في أميركا، تلحظ الباحثة ليزا كولينز تأخّر ظهوره في اللوحات والأعمال الفنية. ثمّة معادلة بسيطة لذلك: بينما تعرّضت أجسادهن للاستباحة الجنسية/الاقتصادية خلال نظام العبودية، بقيت الأجساد نفسها قاصرة عن الدخول إلى لوحات العري الجمالية، كونها لا تلائم مقاييس الجمال الأبيض النموذجي. نظرات لم تهبط على الجسد الأنثوي الأفريقي لدى انتقاله إلى القارّة الجديدة بالسفن، بل جاءت ضمن سياق واسع من العلاقة الأوروبية تحديداً بالجسد الأسود في المستعمرات التي صنعت التاريخ الجنسي العنصري للولايات المتحدة وفق الكاتبة الأميركية باربرا أومولايد: «التاريخ الجنسي للولايات المتحدة بدأ في لحظة تاريخية محدّدة، حين التقى الرجال الأوروبيون بالنساء الأفريقيات في قلب الظلام، في أفريقيا الأم. لقد واجها بعضهما كمتضاد ومحتلّ: النساء الأفريقيات الأسيرات اعتُبرن كملكية جنسية للأوروبيين». لم تكد تنجو واحدة من النساء السوداوات خلال العبودية في أميركا من الاغتصاب من قِبل أرباب عملهن البيض. هذا ما يكاد يُجمع عليه معظم السير الذاتية التي نجت من تلك الفترة. تعرّضت النساء للترهيب بشكله الأقصى مقابل تهديدهن بأولادهن وبطعامهن اليومي. غير أن هناك ما ظلّ حاضراً منذ الاستعمار الأوروبي لأفريقيا في النظر إلى النساء ذوات البشرة السوداء. نوع من النظرة المتفحّصة، والمتعجّبة من جسد لا يشبه سواه من الأجساد التي اعتادت رؤيتها، نتج عنها نوع من الأسطرة للرغبات الجنسية «المتوحّشة» للمرأة السوداء.

الجسد الأسود المستجدّ بالنسبة إلى نظرة المستعمر، شرّع استباحاته والعبث به. لا يمكن لمن يريد الرجوع إلى محطاته أن يتجاوز حادثة عرض سارتجي بارتمان في القرن التاسع عشر. الشابة الأفريقية استُقدمت إلى أوروبا، وعُرضت بين لندن وباريس لخمس سنوات متتالية، مقابل بدل مادي فرضته الحدائق والمسارح على المتفرّجين. لم تكن الحادثة تفصيلاً، بل جسّدت استلاباً مرعباً لسلطة المرأة السوداء على جسدها العاري. جسدها الإكزوتيكي استقطب مجموعة من الممارسات السلطوية البيضاء للمؤسسات الطبية والعلمية والإعلانية والإنثروبولوجية. تنقّلت الشابة الأفريقية برفقة مدرّب للحيوانات. أُخضعت لاختبارات وتجارب طبيّة، بسبب مؤخّرتها المتلفة. كما طلب الأطباء من الرسامين أن يخطوا لجسدها رسومات متعدّدة كتوثيق لجسد استثنائي، لتنتقل لاحقاً إلى رسومات كاريكاتورية على البطاقات البريدية. السلطة نفسها طاردتها حتى رحيلها عن 25 عاماً، حيث تم استئصال أعضائها التناسلية وتم الاحتفاظ بها.

رافق هذا الخيال النساء السوداوات في أميركا. في فترة العبودية، كانت أجسادهن العارية تُعرض كإجراء روتيني في مزادات العبيد، حيث كان يتم تقييم أسعارهن نزولاً عند بعض السمات الجسدية كالقوة والجمال، والعمر (ما يعني قدرة أكبر على الإنجاب، والمزيد من العبيد).

أما العدسة العلميّة فقد طاردتهن أيضاً، في فضاءات أميركا المدينية على غرار ما فعلته الكاميرات نفسها مع أجساد نساء وشابات القبائل الأفريقية. غير أن إعادتهن إلى صورتهن القديمة، تمّت بالتقاط بعض الصور العلمية لشقيقتين هما درانا ودواليا منتصف القرن التاسع عشر. اللقطات تُظهر الشقيقتين الأفريقيتين عاريتين تماماً من الأعلى. تظهر صدورهن، وتنظران مباشرة إلى الكاميرا. غير أن هناك ما يفصل هذين الجسدين العاريين عن اللقطات القبلية لنساء يتجوّلن في محيطهن القبلي عاريات. إنهما في استديو تصوير. هناك من أجلسهما ونزع فستانيهما اللذين يظهران عند أسفل خصريهما في الصور. هكذا فرضت وهيّئت لهما العودة إلى ذلك الإطار الأوّل، لا لسبب إلا لون بشرتيهما.

في حكايات العبودية التي تناقلتها النسوة الأفريقيات من جيل إلى جيل، ظلّ الجسد العاري مرتبطاً بتجربة العبودية المريعة وبالعريّ الإكراهي. تاريخ لم يغب بشكل من الأشكال عن الفنانات الأفريقيات أو الروائيات اللواتي آتين لاحقاً للبحث في تاريخ جدّاتهن. بالنسبة إليهن، التصالح مع تلك الصدمة الأولى يخلّصهن من علاقة شائكة ومتوارثة مع أجسادهن والنظرة إليها. الفنانة فايث رينغولد إحداهن. لوحاتها تجرّأت على النظر والتطلّع إلى التاريخ الأميركي الدموي والتحديق به بخفّة كاملة، بألوان صاخبة وشخصيات أقرب إلى الكاريكاتورية تناقض الموضوع الأليم تماماً. نساء يقتلن ويهربن في الأدغال، وأخريات يحلّقن فوق أبنية نيويورك. ما دفعها إلى إنجاز قصّتها التشكيلية على الأقمشة. «اغتصاب العبد» بداية السبعينيات هي مجموعة تساؤلات حول أولى النساء اللواتي وطأن أميركا. «إنها محاولة لفهم جذور النساء السوداوات اللواتي جئن إلى هنا. ماذا كنّ يفعلن هنا؟ كيف كنا نبدو قبل المجيء إلى هنا». من بعض الوقائع والتفاصيل من حياة النساء خلال فترة العبودية، تعيد رينغولد نساء لوحاتها السوداء إلى الفضاء الأوّل، فضاء طبيعي. ربما هو أفريقيا الأم. تجد وأفراً من الخفّة في تبديد صدمة ذلك التاريخ العنيف، من دون أن تقلّل من ثقله. إنهن ينظرن مباشرة إلى عيني المتفرّج، لكنها نظرة استباقيّة، نظرة مرعوبة من مطاردة أحد الذين لا يظهرون في اللوحات. بهذه النظرات والمواقع الفاعلة لنسائها يتفاعلهن مع المحيط والشجر، صنعت رينغولد سرديّتها البصريّة عن النساء السوداوات خلال العبوديّة، واغتصابهن ومطاردتهن.

سارة بارتمان في إحدى البطاقات البريدية الساخرة

من فيديو اغنية Apeshit لبيونسيه وجاي زي الذي صور في متحف اللوفر

من العمل المنزلي إلى العمل المسلّح

ماما جميما أو العمّة جميما هو اسم أُطلق على امرأة سوداء أخرى. المرأة الممتلئة الجسد، بضحكتها العريضة دائماً، والقماشة الحمراء التي تلفّ رأسها. ابتسامة ضرورية لتظهير الرضى عن موقعها كعبدة في منازل البيض. إنها إحدى أكثر الصور النمطية عن المرأة السوداء العاملة، بحصرها ضمن موقع تمييزي اقتصادياً عبر اختزال

> قالت الناشطة الأميركية أنجيلا ديفيس إنّ «الحركة النسوية السوداء بدأت مع عمل بيتي سار»

مهماها وقدراتها في العمل المنزلي فقط. رافقت هذه العاملات الخيال الأميركي منذ العبودية، رغم دحض بعض المؤرّخين صحّة أن يكون هناك جسد أفريقي بهذا الحجم، في وقت كان يُمنع فيه الأكل عن العبيد. الانتشار الأكبر لماما جميما ظهر في بداية القرن الماضي في الإعلانات التجارية لبعض المأكولات، ثم صارت وجهاً مألوفاً في أدوات المطابخ، بالتزامن مع انتقالها إلى الشاشة حيث ترسّخ دورها كمدافعة عن أسيادها (الخوف من التحرّر)، كما في فيلم «ذهب مع الريح» (1939) حيث تتصدّى مامي إلى الجنود من ذوي البشرة السوداء للدفاع عن أصحاب البيت البيض. تتنازل جميما أيضاً عن جسدها تماماً إلى العائلات البيضاء ومتطلّباتها، على حساب عائلتها. غير أن المرآة السمينة، تناقض كلياً شكل العاملات المنزليات السوداوات في بيوت البيض في الجنوب الأميركي. بعكس عاملات الحقول والزراعة من العبيد، فإن من كان يسمح لهن بالدخول إلى المنازل كنّ بلون فاتح نسبياً، كما كنّ أكثر شباباً من العمّة جميما الخمسينية. من هنا تجمع بعض السرديات على أن هذه الشخصيات السوداء المتخيّلة جاءت لتسدّ القلق الأبيض في أميركا. وفي حالة ماما جميما، تم ذلك عبر بتر أنوثتها تماماً، ومنحها ملامح كاريكاتوريّة من شأنها أن تصرفهن بعيداً عن المنافسة مع ربّات المنازل البيضاوات.

بعد نهضة هارلم الأدبية والفنية، شكّلت حركة الحقوق المدنية خلال الستينيات لحظة سياسية فارقة بالنسبة إلى الفنانين السود. من كان منهم بعيداً عن السياسة والانخراط العنفي، وجد نفسه من الداعين إليه بعد اغتيال القادة السود وتفجير الكنائس والعنف الذي تلقّاه السود. إعلان انفصال السياسي تمّ في كثير من الأحيان من خلال شخصية ماما جميما، كما في عمل للفنان الأميركي جو أوفرستريت بعنوان «جميما الجديدة» بداية الستينيات. في لوحته، أبقى الفنان على ابتسامة جميما الواسعة، لكنه منحها بندقية. لم تعد المرأة المطيعة تكتفي بحمل المكنسة. انقلبت معادلة الخيال الأبيض المطمئن. كان جميما أفاقت مع موجة الاحتجاجات السوداء التي قدّمت قيادات نسائية مثل انجيلا ديفيس. الفنانة بيتي سار حرّرت المرأة الضاحكة أيضاً في عملها «تحرير العمّة جميما» (1972). العمل عبارة عن تمثال لجميما، يحتفظ بالشكل المتعارف عليه، وهي تحمل المكنسة في يدها وفي اليد الأخرى بندقيّة، ما يستحضر صورة أحد قادة الفهود السود هيوي نيوتن وهو يحمل الرمح بيد وباليد الأخرى بندقيّة. منحت بيتي سار خادمتها خطاباً سياسياً جذريّاً، كما في عملها «كوكتيل» الذي يجسّد قنينة ملوتوف مع صورة للعمة ملصقة على زجاجتها الخارجية، أما ربطة رأسها فهي القماشة التي تُستخدم لإشعال الزجاجة المتفجّرة. لدى عرض هذه الأعمال ضمن معرض جماعي سنة 2007 قالت الناشطة الأميركية أنجيلا ديفيس إنّ «الحركة النسوية السوداء بدأت مع عمل سار»، في إشارة إلى الدور التحوّلي الرمزي الذي لعبه العمل في تجسيد النساء الأفريقيات في أميركا.

من سلسلة «اغتصاب العبيد» للفنانة فايث رينغولد (زيت وتطريز على كانفاس 227×130 سنتم ـ 1985)

الرقص في «اللوفر»

نعود إلى فايث رينغولد مجدّداً. هذه المرّة من باب المتاحف الأوروبية بوصفها مؤسسة الخطاب الأبيض الواحد على حساب عزلها فنون الشعوب الأخرى، والأفريقية تحديداً، التي غيّبت عن التعليم الرسمي في المعاهد والمؤسسات الفنية لسنوات طويلة. في سلسلتها القماشية «المجموعة الفرنسية» (1991 ـ 1994)، تجمع الفنانة الأميركية الرسم والسرد والتطريز من أجل رسم قصّة عن فنانة أفريقية أميركية. تتبع القصة امرأة خلال زيارتها فرنسا بداية القرن العشرين مع صديقتيها وبناتها الثلاث. واحدة من أبرز اللوحات من تلك السلسلة هي أجساد نساء سوداوات يرقصن في متحف اللوفر أمام لوحة الموناليزا. وضعت رينغولد بطلاتها في فضاء للقوّة البيضاء بكل المقاييس، وأحاطت أجسام نسائها السوادات بلوحات رفاييل وليوناردو دافينشي، مشرّعة عملها على أسئلة كثيرة حول التمثيلات السوداء وتجارب الفنانين السود والبيض. وباستخدامها القماش والتطريز كممارسة نسائية متوارثة، أدخلت رينغولد هذه التقنية المحلية والشعبية إلى الفن المتحفي، مقابل تقليد الرسم الزيتي الغربي. بعد ثلاثة عقود على أعمال رينغولد، دخلت بيونسيه متحف اللوفر مجدداً في فيديو أغنيتها Apes**t مع زوجها جي زي. الأكاديمية في الدراسات الأفريقية الأميركية أليكساندرا أم توماس تلتقط اللحظة المتشابهة لهذين الاجتياحين. يفتتح فيديو بيونسيه على لقطة للثنائي أمام لوحة الموناليزا، أشهر الأعمال المعروضة في اللوفر. مع الزوجين، تتوالى أجساد النساء الراقصة ببشرات من كلّ الدرجات اللونية السوداء، أجسادهن صنعت إطارات أو عدسة جديدة للوحات، تأتي كتعبير سياسي مضاد ونقد سنوات طويلة من العلاقة الفنية السوداء والبيضاء، خصوصاً في رقصهن أمام لوحة «تتويج نابليون» (1807) لجاك لوي دافيد.

الجسد الأسود في مواجهة القهر والعنصرية والاستعمار

العنصرية القائمة على العرق منتج أيديولوجيّ محض لفّقه صانعو الهيمنة الثقافية الرأسماليّة معماراً اجتماعياً ثقافياً، وهويّة مختلقة ليس لها أساس من الواقع بيولوجيّاً. وخلال عصور الحداثة، وظّفت كأداة من أدوات الهيمنة التي تمارسها النخب الغربيّة البرجوازيّة الحاكمة لتأبيد سيطرتها على السلطة والموارد من خلال تعميق وهم تفوّق مجموعة بشريّة دون أخرى. الاختلافات بين البشر لا تحمل معاني قطعاً، بل تُحمّل تلكَ المعاني. ويتقبلها الجهلة وأصحاب العقول المستقيلة من الخيال اللازم لاختراق الأوهام المؤدلجة

العرق كهويّة رأسماليّة مختلقة

سعيد محمد

تشير الأرقام التي نشرتها هيئة الصحة الوطنيّة البريطانيّة في أيار (مايو) الماضي إلى أن الوفيّات (في المستشفيات) نتيجة وباء كوفيد – 19 بين السكان المنحدرين من أصول أفريقيّة هي أكثر أربع مرّات مقارنة بنسب الوفيّات بين السّكان ذوي البشرة البيضاء. تتطابق تلك الأرقام مع إحصاءات أميركيّة رسميّة حول ضحايا الوباء أعطت نتائج مقاربة. وقد جدّدت هذه النتائج جدلاً دائماً في أوساط النخب الغربيّة – وقبل حادثة القتل العلني الأخيرة لجورج فلويد خنقاً – حول أساس علمي ممكن لمسألة الفروق بين البشر على أساس لون بشرتهم. فالمؤسسة الطبيّة الغربيّة التي ترى مثلاً أن مجموعة السكان المنحدرة من أصول أفريقيّة معرضة للإصابة بمرض ارتفاع ضغط الدم أكثر بمرتين من ذوي البشرة البيضاء، وتضيف «العرق الأفريقي» كعامل خطر مضاعف لدى المرضى المحتملين، وجدت في تحليل وفيّات كوفيد - 19 دليلاً (علميّاً) آخر على أن العرق مسألة بيولوجيّة أساساً. ولم يجد حتى المعارضون للعنصريّة بدّاً من ملاحظة فروق بيولوجيّة على مستوى ما تتوازى مع خبرتهم المعاشة في تباين أسلوب حياة ومصائر المجموعات العرقيّة المختلفة من السكان في المجتمعات المعاصرة.

بالطبع فإن هذه الأرقام - ومثيلاتها سابقاً - تُطرح علناً وتتحوّل إلى جزء من قناعات تحكم صياغة سياسات الدول وتتسرب إلى ثقافة الشعوب وممارساتها اليوميّة، فيقبلها ذوو البشرة السوداء والملونة - أطباء ومرضى - مثلهم مثل رفاقهم ذوي البشرة البيضاء من دون أن تُدرس كفاية في إطار سوسيولوجي عريض يأخذ في الاعتبار ظروف الفصل العنصري - المبيّت منها والمعلن - اقتصادياً وثقافيّاً واجتماعياً التي تعيش فيها تراكمياً مجموعات معينة من السكان (السود في الولايات المتحدة، السّكان الأصليون في كندا، الفلسطينيون في لبنان وهكذا. هذا من دون الحديث طبعاً عن أشكال العنصريّة الرسميّة في الدول الدينية المختلقة في السعودية و«إسرائيل» وباكستان)، والتي تنعكس في النهاية ظروفاً مواتية لإعادة خلق الفقر، والجهل والمرض والجريمة والتفكك المجتمعي.

سوسيولوجياً (انظر مثلاً أعمال ثيودور أدلين حول اختراع العرق الأبيض)، فإن فكرة العرق برمتها ليست سوى معمار اجتماعي - ثقافي، وهويّة مختلقة ليس لها أي أساس من الواقع، وأداة من أدوات الهيمنة التي توظفها النخب الغربيّة البرجوازيّة الحاكمة لتأبيد سيطرتها على السلطة من خلال تعميق وهم تفوّق مجموعة دون أخرى. فالاختلافات بين البشر لا تحمل معاني قطعاً، بل «إن المعنى مضاف إليها من قبل صانعي الهيمنة الثقافيّة في المجتمع» كما يقول المفكّر البريطاني بول جيلروي - وهي بالتالي «ليست حتميّة من دون أدنى شك، بل نتاج مباشر لتفاعلات السياسة والسلطة والثقافة في مناخ فكر محدّد». فالعنصريّة كمنتج أيديولوجي محض هي وحدها سر بقاء مفهوم العرق حيّاً.

وللحقيقة، فإن الفكرة العنصريّة - بمعنى التفريق السلبي بين البشر على أساس لون بشرتهم - مسألة مرتبطة حصراً بالحداثة، ولم يكن العرق مفهوماً بتلك الصيغة في أي من الحضارات البشريّة القديمة من بكين إلى روما، رغم وجود صيغ أخرى متفاوتة لاختلاق التباينات. ويمكن تاريخيّاً تتبع آثار نشوئه إلى لحظة تاريخيّة محددة في التاريخ مرتبطة عضوياً بصعود الرأسماليّة، وما استتبعته تلك اللحظة/ الحدث، في المفهوم الفلسفي كما عند ألان باديو، من إعادة تكوين نوعيّة لبنية المجتمعات، ولاحقاً إطلاق صناعة التجارة بالبشر.

كانت القوى الأوروبيّة الكبرى قد شرعت وقتها بتأسيس مستعمراتها في العالم الجديد (سلب من سكانه الأصليين الذين أبيدوا بالملايين وعاشت بقاياهم المتفرقة المتناثرة في مناطق عزل للقتل البطيء أطلق عليها - للصدفة - اسم مناطق السلطة الوطنيّة الهنديّة، لكن تلك قصّة أخرى). في تلك المستعمرات، كانت الأراضي شاسعة، ومن السهل زراعتها بالمحاصيل المربحة (كالسكر)، فاستجلب الأثرياء من أجل ذلك ملايين العمّال الأوروبيين ورؤوس الأموال لبناء صناعات تحويليّة ضخمة وبنية تحتيّة للتصدير. لكن تعاظم رقع الإنتاج وتوسع الطلب العالمي جعلا الحاجة ماسة للمزيد من الأيدي العاملة التي شرعت ترتفع كلفة استيرادها من أوروبا. في تلك الأجواء تحديداً، ولدت تجارة العبيد على أيدي مجموعة من التجار الأوروبيين الذين شرعوا - بالتعاون مع تجار مسلمين وأفارقة - باختطاف أكثر من 12 مليوناً من سكان غربي القارة، ونقلهم كما الحيوانات إلى العالم الجديد في ظروف مروعة تسببت وفق تقديرات تاريخيّة بموت حوالى مليونين منهم قبل وصولهم بالفعل إلى منافيهم الجديدة عبيداً فاقدين للحريّة وأيدي عاملة شبه مجانية عند مالكي المزارع والمصانع الأوروبيين الذين ابتاعوهم كما الماشية.

> **الفكرة العنصريّة مسألة مرتبطة حصراً بالحداثة**

نخبة لندن من تحالف البرجوازية - الأرستقراطيّة وجدت نفسها عندئذ في تناقض فكري حاد بين أفكار التنوير التي فتحت الباب للعلم والتكنولوجيّات الجديدة وتراكم الثروة الرأسماليّة والديمقراطيّات الحديثة، وبين التجارة المخزية بالبشر، فكان أن تفتقت أذهان البعض عن تفسير بيولوجي عرقيّ مرتبط بلون البشرة لتبرير التفوق الموضوعيّ للبيض على السود. وقد بنيت حوله حركة أدلجة هائلة لتعميم العرقنة كمكوّن ثقافيّ وافق حاجة الرأسماليين وتقبلته العقول الجاهلة والكسولة التي استقالت من الخيال اللازم لكسر أيديولوجيا النخبة.

خلال عقود قليلة من نشر أول النصوص المكتوبة التي تقارب العالم عرقياً (كتاب «نظام الطبيعة» لكارل لينّايوس 1735) لم تعد العنصريّة تطرفاً يقتصر على حفنة من المهووسين اليمينيين. إذ كان كل متعلم ومثقف تقريباً في عالم القرن التاسع عشر الأنغلوفونيّ يعتبر أنّه من المسلمات كون ذوي البشرة البيضاء وحدهم دون البشر لديهم ملكة التفكير والحكم، ويمتلكون الميزة الأخلاقيّة بيولوجياً للتربع على قمة الهرم العرقي المزعوم، فكأنها مشيئة الربّ لا نملك تجاهها - بيضاً وسوداً - سوى التسليم والإذعان.

ومن المثير هنا أن الهويّة العرقيّة البيضاء النقيضة للسوداء لم تنشأ عملياً في الولايات المتحدة إلا بعد ستة عقود من وصول طلائع التعساء الأفارقة المختطفين إلى فيرجينيا عام 1619 وبعد ثورة عمّال الزراعة في 1676 هناك (المعروفة بثورة باكون) التي شارك فيها على قدم سواء العمال الأوروبيّون الفقراء ورفاقهم السود جبهة واحدة ضد مالكي المزارع، وأرعبت الرأسماليين من احتمال قيام حرب طبقيّة ضدّهم. هكذا تمّ الترويج لهويّة بيضاء تجمع سيكولوجياً - مع بعض الامتيازات عديمة القيمة فعلياً - الأثرياء البيض مع العمال البيض في فئة مزعومة ضد ذوي البشرة السوداء. وما لبثت أن انتشرت بجهود صنّاع الثقافة في المجتمع لنجاعتها البراغماتيّة المذهلة في كسر طبقة الفقراء إلى معسكرين متنازعين متعاديين. ومن المثير للسخرية أنّه تتوافر لدينا وثائق من تلك الفترة تظهر أنه أمكن في بعض المستعمرات الأوروبيّة للسكان السود والملونين الذين يصيبون ثراء استثنائياً أن يشتروا شهادات رسميّة مكلفة تسجلهم «بيضاً» لدى السّلطات، وتمنحهم حقوق العرق «المتفوّق». وكثيراً ما كان هؤلاء ينخرطون بلا هوادة في خدمة عرقهم المكتسب ضدّ أهلهم من السود والملونين.

وخلال 300 عام التالية، والمراحل اللاحقة من التاريخ الرأسمالي (الإمبرياليّة وهجرة الملونين والسود إلى الغرب بعد عصور الاستقلال الشكلي بعد الأربعينيات من القرن الماضي) تم نسج العنصريّة المؤدلجة رويداً رويداً في إطار الممارسة السياسيّة والثقافية والعلميّة للمجتمعات الغربيّة. بُذلت جهود هائلة لتكرّسها واقعاً مجتمعياً في إطار انعدام العدالة الاقتصاديّة الممنهج والفصل العنصري المموه الذي يسم الرأسماليّة بشكلها المعاصر، فيما حوربت كل محاولات النهوض والترقي بين السود الملونين بالعنف السّافر، فقتل قادتهم بلا رحمة، وسجن من نجا منهم، واخترقت حراكاتهم بالعملاء والمخبرين، ونفّذت المخابرات المركزيّة الأميركيّة ضدّهم - وهذا لم يعد سراً - أسوأ حرب منظّمة لنشر المخدرات والفساد والجريمة، فصارت كأنها قدر مجتمعاتهم المحليّة. حتى أصبح معروفاً أن لانغلي هي سوق الجملة الأكبر للمخدرات في العالم، وأن كل خطوط النقل المعولم لتجارتها من أفغانستان وكولومبيا ولبنان وغيرها من الأسواق المنتجة تعمل تحت رقابتها اللّصيقة رغم كل العواء الرسمي الكاذب بالحرب على المخدرات التي توظّف حصراً ضد المعادين للولايات المتحدة. ويشارك اليسار الغربيّ الفاقد للتأثير في هذه المهزلة عبر دعمه لحركات حقوق السّود (كما الأقليات الجنسيّة والثقافية والفولكلوريّة الأخرى) لتعمّق بذلك وهم الهوية المختلقة المؤدلجة.

لا أيها السّادة، العنصريّة التي قتلت أخانا جورج فلويد بالأمس - وستقتل فقراء آخرين مثله مستقبلاً - واقع خلقته الأيديولوجيا الرأسماليّة البغيضة. أما الفروق العرقيّة فهي محض اختلاق ووهم.

على موقعنا «تقرير من الأراضي المحتلة» لجيمس بالدوين (ترجمة محمد الدخاخني)

«العلم ينزف» للفنانة فايث رينغولد (أكريليك على كانفاس ـ 193×200,7 سنتم ـ 1997)